مائة جلدة

نوال غريب

دار دريم بن للطباعة والنشر
العنوان: مدينة العبور – الحي السادس، فيلا 8، مدخل 1
هاتف: 1003288596 (0020)
بريد إلكتروني: dream.pen92@gmail.com

مائة جلدة

نوال غريب

الطبعة الأولى، القاهرة 2020م
غلاف: عمار جمال العبد
تحرير، مراجعة لغوية، إخراج داخلي: لخضر بن الزهرة
رقم الإيداع: 09910 / 2020
I.S.B.N | 978-977-8794-24-5

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًّا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذنٍ خطيٍّ من الدار.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبِّر عن رأي كاتبها، و لا تعبِّر بالضرورة عن رأي دار النشر.

نوال غريب

مائة جلدة

دريم بن
للترجمة والنشر والتوزيع والطباعة

المقدمة

هذه القصة حقيقية مع اختلافات بسيطة حول الأحداث في سياق الدراما؛ وهي المشكلة الأزلية بين معظم الشباب في أول زواجهم، وكل الأحلام الوردية التي يعتقد الأطراف أنهم سوف يعيشونها معا مثل الأفلام الرومانسية؛ ثم يصطدمون بالواقع، وأن من كانوا قبل الزواج متلهفين على جمعهم في بيت واحد وهو عش الزوجية ليسوا هم بعد أن أُغْلِق الباب عليهم، وتبدأ الحياة بكل تروسها وبقوانينها ترشق بهم في عجلة أحلامهم فتوقفها، ويبدأ كل طرف في اتهام الآخر في سبب توقف هذا الحلم وهذا الحب.

وما لا يعلمه الطرفان أن الله ذكر (الحب) في كتابه العزيز بقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ **(الروم:٢١)**، وليس من يتفوق على من، أو من هو أقوى، بل من يعطي أكثر لمن يحب.

وكلمة (بينكم) تعني أن الله لا يختص طرفا عن الآخر، فهم متساوون في الحقوق والواجبات، مكملون لبعض، وإنها (حياة) وليست (الخلود).

ومعنى أنها حياة فلا بد من أخذ أسبابها؛ لتسير في مسارها الصحيح الذي أراده الله للإنسان حتى يصل إلى النهاية، ويرى حصاد رحلته استنادا إلى نقطتين لا ثالث لهما: (حبل من الله) و(حبل من الناس).

ومعنى (حبل من الله): التواصل الصحيح مع من أعطانا الروح والحياة، وأن الدنيا لها وقت محدد وستنتهي في أي لحظة، فنجاهد النفس لرفع مستوى الروح؛ لترى غيرها قبل أن ترى نفسها، فتعطي بحب؛ لتشعر بقيمتها لغيرها، وبذلك تشعر بالسعادة والرضا.

والثاني (حبل من الناس) وأولهم أهل بيتك وأسرتك ومن يهمك أمرهم؛ لتحمل أعباء الحياة معهم بمد يد العون ولو بالكلمة الطيبة، وهذا أضعف الإيمان، وليس بالمن والمعايرة للطرف الآخر؛ فالحلم لا يكتمل بفرد واحد، وإلا كان ربك اكتفى بآدم ولم يخلق شريك الحياة والحلم: حواء.

(نوال غريب)

الحكاية

بطل قصتنا هو المهندس (آدم) الذي تعرف على المهندسة (حور) في كورس هندسي، ومنذ أول لقاء حدث الإعجاب بينهما، فبدأ آدم في نسج شباكه حولها.

كان آدم وسيم الوجه عريض المنكبين؛ طويل القامة زاهيا بنفسه، ويعلم أنه وسيم؛ وهذا كله جعله متأكدا من إعجاب أي فتاة به، أما حور فكانت تريد أن تقع في هذه الشباك، ولكن كانت تظهر عكس ذلك حتى تتأكد من أنه جاد في مشاعره، وليس في نيته قضاء وقت مع فتاة وفقط، فهي أيضا جميلة وذات عينين واسعتين وشعر من الذهب الأصفر، متوسطة الطول، ملائكية الوجه وذات عود مليء بالأنوثة، بسيطة في ملابسها ومحتشمة أيضا، وهذا ما أوقع آدم سريعا معجبا بها.

كان يختلق أسباب الحديث حتى يتكلم معها في أي موضوع؛ ليعرف عنها أي معلومة، مثل كونها مخطوبة أو شيء من هذا القبيل، وكان آدم يلاحظ أن بعض الشباب يحاول أن يتعرف عليها في الكورس ولكنها ترد -بأسلوب لبق-

أي شاب يحاول الدخول معها في حديث طويل، فحرص آدم أن يكون جادا في الكلام معها حتى تعطيه فرصة للحديث.

وأخيرا وجد من حاجتها للعمل ذريعة قوية للحديث والتقرب، فوعدها أنه سيوفر لها فرصة عمل بعد الكورس، وسوف يتصل بها، وبذلك أخذ رقم هاتفها الخاص.

بعد انتهاء مدة الكورس أصبح اللقاء صعبا وأصبح الاتصال عن طريق الهاتف السبيل الوحيد للوصول إليها. كانت حور عندما يرن جرس الموبايل يتهلل وجهها من الفرحة، وتجري لترد في لهفة.

كان آدم في كل مرة يختلق الأعذار في عدم توفر فرصة عمل مناسبة لحور، ويدخل في أحاديث أخرى معها ليتعرف عليها أكثر، ولاحظت أم حور ذلك، ولكنها انتظرت حتى تأتي حور وتحكي لها عن ما يحدث بنفسها.

وبعد فترة صار آدم يلح في اللقاء في مكان عام بحجة مصارحتها بمشاعره، فصارحت حور أمها بمشاعرها تجاه آدم، وأنه مهتم بها ويريد أن يراها ولو مرة ليعرفها بنفسه وظروفه، فوافقت الأم على أن تكون مرة واحدة، وبعدها تحدد هل هو مناسب أم لا، وأن المشاعر الحقيقية تترجم ارتباطا، لأنه مهما طالت فترة المعرفة لن تعرف عنه إلا ما يريدها أن تعرفه.

وكان اللقاء، وعندما جلسا وضع آدم يده على يد حور وفي حركة سريعة قال بصوت هادئ ونظر في عينيها:

– أنا سعيد جدا إنك و افقتي تيجي أشوفك، كنتي وحشاني جدا جدا.

وفي هذه اللحظة انتفض جسد حور، وارتعشت يدها وكل نقطة دم في جسدها راحت تنبض، وليس قلبها فقط، فهذه أول مرة يلمس يدها شاب، وما هذا الشعور الذي شعرت به؟ هل هو الحب؟ أم لأنها أول مرة تلتقي بشاب؟

حاولت أن تتماسك ولكنها شعرت بسخونة تنبعث من وجهها، ففهمت أن ما بداخلها يشاهده آدم على وجهها فازداد خجلها، وضعت يدها على وجهها وشعرها في حركة سريعة، ثم نظرت إليه فوجدته ينظر إليها فزاد توترها.

أحس آدم بالسعادة لرد فعلها هذا فهو خبير بالنساء، ويعلم رد فعل البنت الخام في أول لمسة يد من الخجل الرباني الذي لا يمكن تمثيله أو التظاهر به، وأحس أنه ولأول مرة يحسن اختيار فتاة نقية نظيفة، وأحس أنه وقع على كنز:

– على فكره دي آخر مرة هشوفك بالطريقة دي، أنا قولت لماما إني هقابلك وهي في المكان حوالينا تخلص مشتريات وتيجي تسلم عليك لما أكلمها و أقولها تعالي.

– أتشرف ياستي بيها وبيكي، واضح من بنتها أنها ست الستات، وعرفت تربي.

– ماما دي أختي الكبيرة، وأي حاجة بحس بيها بتكون عارفاها أول واحدة.

– البنات دايما بيفضفضوا لأمهم، ودا صحي جدا.

– أفهم من كده أن الأولاد مش بيفضفضوا لأمهم؟!

– لا طبعا، ماما حبيبتي وصحبتي وست الكل، لكن مينفعش أقولها كل حاجة، الأولاد ليهم حياتهم بره البيت أوسع بكثير من البنات، بس الصراحة حكيت لها عليكي ونفسها تشوف مين دي إلى قلبي مال ليها بسرعة كده، هتحبيها وهي هتحبك أكيد زي ما ابنها حبك، هي بتكتب شعر عامي واحنا قراءها الوحيدين، أنا واخواتي البنات بنشجعها بقى؛ هنعمل إيه؟ دا جيل ما يعلم بيه إلا ربنا. بدأت تكتب شعر على كبر وفاكره نفسها بيرم التونسي ولا نجم، بس والله ساعات بتكتب حاجات فلتة كده؛ بتعجبني وحلوة برضو.

ضحكا، ثم بدأ آدم في استعراض صفاته وإمكنياته، وبيانات عنه، وأنه يعمل مهندسا بشركة مقاولات كبيرة، ثم تحدث عن أسرته وأنه ولد وحيد وله أختان؛ الكبيرة

سلسبيل وهي متزوجة، وزوجها كريم مسافر إلى بلد عربي ولهما ثلاثة أولاد، والصغيرة سندس؛ مخطوبة وسوف تتزوج الشهر القادم، ثم قال وهو يتأملها:

– هي بالنسبة لماما مش بس بنتها، لا دي الحب كله؛ زي ما كنت عند بابا الله يرحمه؛ كده الدلع كله. وتسعديني لو قبلتي إننا نتعرف على بعض أكثر.

انتظر آدم رد حور وهو يشرب القهوة، وينظر إلى عينيها في ترقب ما هو جوابها.

نظرت حور حولها نظرة حيرة وهي تحدث نفسها: ماذا تعني نتعرف على بعض أكثر، هل يعني كلمة نتصاحب، أو تعني أكون البنت الخاصة به، ثم أخذت نفسا عميقا، وقالت في نظرة حزم:

– الحقيقة مبدئيا أنا مرتاحة، لكن موضوع نتعرف أكتر ده يكون في إطار رسمي، ويحدد؛ ممكن نكمل والا لا، جايز بعد التعارف لمدة طويلة نكتشف إننا مننفعش لبعض، أو ننفع لبعض، وفي كل الأحوال الإطار الرسمي اتعمل لكده.

– يعني إيه إطار رسمي؟ خطوبة يعني خبط لزق كده؟ طيب نتعرف على بعض شوية!

– أيوه، زي ما فهمت كده بالضبط، و أنا آسفة، إحنا مش في مكان شغل واحد، ولا في الجامعة مع بعض مثلا علشان كل يوم هشوفك ونتعرف أكتر، إحنا علشان نعرف بعض لازم هنتقابل بره، وده مرفوض بالنسبة ليا ولأسرتي، وليك طبعا حرية الاختيار؛ تو افق أو لا.

دُهِش آدم لرد فعلها الهجومي فأراد أن يمتص انفعالها، وفي نفس الوقت يطمئنها، فقال بهدوء:

– طيب بالراحة بس، ممكن أعرف إنتي بتقولي مبدئيا مرتاحة، إزاي وعلى أي أساس.

– زمان ماما كانت بتقولنا و انتم بتصلوا يا بنات ادعوا لنفسكم بالزوج الصالح اللي يسعد قلبكم، واحنا نقولها يا ماما إحنا لسه أطفال، فكانت تقول ما هو ربنا بيحضره في بيت أهله زي ما أنا بحضركم كده، ولما تشوفي وتقعدي معاه ترتاحي، وعلشان كده أنا لما شوفتك وحسيت براحة في الكلام معاك قولت ممكن تكون بداية، لكن مش (جواب نهائي).

ابتسم آدم لسماعه جملة (مش جواب نهائي).

– أنا مبهور بكلامك ده والله، و إيه كمان؟ قولي، عايز أسمعك.

– والله مش بهزر، أنا كان عندي يقين بوجود نصيبي حواليا، ولما كبرت وقبل ما أنام بالليل لازم كنت بقول تصبح على خير يا نصيبي مع أني ماعرفش اِسمك ولا إنت ساكن فين، ولا شكلك إيه، لكن عارفة إنك موجود وده يقين وحسن ظن بالله.

ابتسم آدم واعتدل في جلسته، ووضع يده على صدره وقال في شكل رسمي:

– اسمي آدم، وكان نفسي أقابلك من زمان والله، بس ماكنتش بسمع كويس، أنا لازم أعالج وداني دي؛ وإلا كنت سمعتك و إنتي بتقولي تصبح على خير يا نصيبي.

ضحكت حور ضحكة خجولة وقالت:

– إنت بتحسب دا كلام أطفال! والله بتكلم جد.

– أحلى طفلة في الدنيا والله، طيب يعني هتكلمي ماما تيجي بقى أتعرف عليها.

– أيوه، هكلمها تيجي، هي قريبة من هنا، إن ماكنتش كمان بتبص علينا من بعيد وبتر اقبنا.

– أنا معجب إن في لسه النوعية دي من البنات اللي فاهمين الحرية صح، مش إنها تصاحب ده وتسيب ده وتعشم ده، والأهل مايعرفوش أي حاجة عنهم، وده

يعرض البنات لمو اقف صعبة لأن خبرتهم في الدنيا قليلة، وما أكثر الشباب المستهتر اللي بيلعب بالنوعية دي من البنات.

– عندك حق، بس في بنات أبشع من الأولاد دي والله، وبجحين بجاحة غير طبيعية، وساعات بقول فين أمها دي، وازاي مخرجاها كده من البيت؟ وفي بنات كانوا عندنا في الكلية يخرجوا من البيت محجبين ويوصلوا الكلية مش لابسين الحجاب، لا وكمان لابسين لبس خليع؛ بيشوهوا منظرهم أساسا والله، مش بيحليهم، ولو يسمعوا الشباب بيقول إيه عليهم يحزنوا مش هيفرحوا بشكلهم أبدا. دانا مرة كنت قاعدة قريبة منهم في الكافتيريا وسمعتهم يشتموا بعض بأقذر كلام ممكن تسمعه، ويتباهوا بكده، أنا صُعقت والله. هو حضرتك بتشتم بألفاظ قذرة؟ معليشي في السؤال، علشان بس أنا مش باقدر أسمع أي شتيمة، بقشعر والله مش بهزر.

وضحك آدم من كلمة بقشعر وقال:

– بتقشري ازاي يعني؟!

– أنا متعودتش أسمع شتيمة في بيتنا نهائي، ولما كان حد بيشتم في الشارع كنت أتخض؛ ازاي بيعرف يقول

ألفاظ زي دي، والله بتكلم جد! أمي كانت تقول إوعي تشتمي، اللسان ربنا خلقه نظيف نتواصل بيه مع بعض بالحديث الطيب، ونسبح بحمد الله، واللسان اللي يذكر الله؛ ازاي نوسخه بالكلام القذر ده؟ فاعتبرت إنها من ضمن النظافة الشخصية عندي، ولكن لما دخلت الجامعة كنت مصدومة من كميات الزبالة اللي بتخرج من شفايف البنات اللي مزينة شفايفها بالألوان وجوه اللسان قذارة.

– نجاوب حته حته ماشي؟ البنات دول بيبقوا لابسين علشان يرضوا غيرهم، أو بأوامر من الأهل، ومش مقتنعين باللي بيعملوا علشان كده بيقلعوا في أول فرصة تجيلهم، والغلط أساسا من الأهل؛ إنهم أجبروهم مش أقنعوهم، وأما الشتيمة القذرة دي بيعتبروها روشنة بس، أنا بشوف أي بنت مهما كان جمالها وتشتم و أنا بتكلم معاها وشها بيقلب معايا غوريلا والله. و أنا طبعا مش هكدب عليكي؛ بشتم بس مع أصحابي مش في بيتنا وسط إخواتي وأمي. إنتي عارفة لو ماشتمتش؛ أصحابي يزعلوا، وكأنها أصبحت لغة للحوار بين الشباب، و أنا عارف إنه كلام يحزن، بس و اقع مش هينفع نهرب منه. الأول يسمعونا اللفظ في فيلم فنتخض منه، وبعد كده ناخذ على سماعه،

وبعدين يبدأ يتداول بينا ويصبح عادي. وكل مرة لفظ أبشع من اللي قبله؛ يعني بيتطوروا في الأباحة بعيد عنك. وطبعا مش بعمم بس الأكثر يشتموا، ولعلمك اللي مش بيشتم بيتريقوا عليه؛ وكأن هو اللي غلط واحنا الصح، ماعرفش وصلنا لكده ازاي والله، لكن دي الحقيقة، بس لو الشتيمة بتزعلك أبطلها، إنتي تأمري. وبالمناسبة دي سلسبيل وسندس إخواتي محجبين، بس عن اقتناع، ومحدش قال لهم أساسا اتحجبوا، وأحب لو تفكري في الموضوع ده باهتمام، ولو اقتنعتي هكون سعيد.

– أفهم من كده إنك بتطلب مني أتحجب؟!

– لا مش طلب، دي أمنية، بقولك وهو في الآخر قرارك.

– إن شاء الله، ربنا يعمل الخير، ادعيلي.

سكتت حور فجأة بعد طلب آدم في التفكير في الحجاب، وقالت في نفسها هل هو متحكم، ولكن تراجعت وأكملت الحديث، وحاولت أن تكون طبيعية حتى لا يلاحظ تغيروجهها:

– طيب، ممكن أسأل من فضلك سؤال؟

– طبعا، اتفضلي!

– إنت بتصلي؟

ارتبك آدم ومسك بفنجان القهوة وشرب منه، وكأنه يعطي نفسه فرصة للرد، فهو طلب منها منذ ثواني التفكير في الحجاب، فهل هذا رد على سؤاله، ثم قال:

– إنتي عايزه الحق ولا ابن عمه؟

– عايزه الحق و ابن عمه، لأن أي قريب للحق فهو حق، جاوب بقى!

– بالراحة عليا، إيه الرد اللي مش متوقع ده؟ طيب، أقول مين دلوقتي؟ على العموم أنا حاولت كام مرة أصلي، وكنت بافشل في الاستمرار، ومش عارف السبب. يمكن علشان مافيش حد من أصحابي بيصلي، ولا حد بيشجعني، أو علشان أنا معنديش عزيمة، هو من الآخر تقصير مني، وبكده أنا قولتلك الحق و ابن عمه.

ثم ابتسم آدم ووضع رأسه بين يديه ليخبئ عينيه خجلا من اعترافه بالتقصير.

ابتسمت حور، وقالت له في تشجيع حتى تزيل خجله:

– خلاص، بعد كده هتلاقي اللي يشجعك، أنا بصلي من الصغر، وماما -الله يكرمها- علمتنا إن يومنا لازم

يبقى في ولو ثلاث آيات من القرآن. كانت بتقولنا زي ما بتاكلوا وبتشربوا تصلوا وتقرأوا، وفي الأول كان تعود مش احتياج، ولكن لما كبرنا أصبح احتياج، وعرفنا ليه هي عملت كده من الصغر؛ لأنه لما بنكبر ونيجي نصلي ونقرأ بيكون أصعب علينا، وفي الوقت ده بالأخص الإنسان بيكون في أمس الحاجة لربنا، لكن مش عارف يعمل تواصل معه زي اللي على طول على اتصال بيه، فبيسهل مأمورية وصول طلبك لربنا لأنه بقى حافظ احتياجاتك خلاص.

– لا، أنا كده مش معاكي، ربنا بيسمعنا في أي وقت، وعارفنا طبعا، وبيستجيب.

– طيب، هقولهلك على طريقة أسهل، لو إنت في واحد صحبك عارفه، ويمكن تكون بتحبه وعارف إنه بيحبك، لكن مش بتتصل بيه خالص حتى في التليفون، وفجأة عايز منه طلب؛ تروح متصل بيه علشان يلبي طلبك وبس. إنت هتحس بأنك مكسوف إنك بتتصل علشان مصلحتك، وهو هيقول لما احتجتني بس طلبتني، وممكن يحقق طلبك لأنه بيحبك، بس عارف إنك بتاع مصلحتك، طيب لو على طول في صلة و اتصال بينكم؛ هتقول في نفسك

ده حبيبي، وأول ما هقوله هيعرف طلبي ده؛ كل يوم معايا بشوفه أو بتصل بيه، ده عارفني. مين أحسن؟

– تصدقي؟ بدأت أقتنع بحكايات الأطفال اللي بتقوليها دي!

– أطفال؟ ما هي بتاعة أطفال، ولما بنكبر بتكبر جوانا زي ما تتعلم واحد اثنين لحد عشرة وإنت صغير، ولو متعلمتهاش لحد ما تكبر وتدخل المدرسة مش هتعرف تتواصل مع الناس اللي حفظوها وهما صغيرين وهتلاقي نفسك فاتك كتير.

– أنا مش عارف أرد على الكلام بتاعك وحاسس إني تلميذ بليد، وفعلا ناقصه كتير.

ضحكت حور ضحكة طفلة تستمتع بالمدح فيها.

وفي هذا التوقيت جاءت أم حور من بعيد، ونظرت إلى آدم، وحين اقتربت ابتسمت ابتسامة رضا، ورد آدم بابتسامة عريضة، فهو أعجب بها قبل أن يراها، البنت في العادة تكون نموذجا مصغرا عن أمها، فهي رغم السن ملامحها تدل على أنها كانت جميلة في الصغر مثل حور.

جلست بجانب حور حتى تنظر إلى آدم جيدا؛ الذي رحب بها، وتعرفت عليه وجرى بينهم حديث طويل؛ في

نهايته شعرت أم حور بارتياح، واطمأنت له، وحددوا ميعادا لمقابلة والد حور.

وبعد أن ذهب آدم لاحظت أم حور الحيرة في عيون ابنتها بعد أن كانت فرحة قبل اللقاء، ولما سألتها أجابت أنها تشعر بالخوف من شخصية آدم، ولكن هي مرتاحة بشكل عام، وكل هذا سوف يتضح بعد الخطوبة والتعامل معه عن قرب، وأنها تشعر أنه له علاقات كثيرة مع البنات من خلال نظراته لها.

كان جواب أمها أنه أمر وارد بما أنه شاب وسيم وحيد أهله، والمهم أن يلتزم بعدما وجد ما يريد، وأن يكون كل ما فات ماضيا، وأن لها الحاضر بكل ما فيه، وكل هذا سابق لأوانه، ولهذا دعتها أن لا تقلق.

بعد أن تركهما آدم أخذ يحدث نفسه؛ ماذا حدث فهو كان يريد التعرف على حور فقط، ووجد نفسه في طريق خطوبة وزواج، ولكنه في نفس الوقت سعيد، فماذا يعني هذا؟

حين عاد آدم حكى ما حدث لأمه، ففرحت وقالت إن هذا ترتيب رباني، والنصيب مش محتاج ترتيب منه، وشجعته على هذه الخطوة، فهي تعلم أنه هوائي ولا يريد التقييد.

***

ذهب آدم إلى بيت حور لمقابلة والدها في الميعاد، وكان بصحبته والدته وأختاه سلسبيل وسندس، وبعد الترحيب الواجب جلس آدم وأخذ ينظر إلى معالم البيت الذي نشأت فيه حور، فهو يدل على ذوق راق وبسيط في تفاصيله؛ دافئ ذو رائحة مريحة للأعصاب؛ لم يشعر بذلك في بيت من قبل، فهدأ وبدأ الحديث مع والد حور، والتعرف على أفراد الأسرة، وكانت حور هي الكبيرة مع أختين أصغر منها وهما (فيروز) في المرحلة الإعدادية و(ذهب) في الثانوية العامة، وهما الاثنتان مثل حور في الرقة والجمال الهادئ.

خرجت حور وهي في أبهى ملابسها وزينتها، ورحبت بأسرة آدم، وجلست بالقرب من أم آدم، فنظرت إليها في إعجاب وقالت:

– بسم الله ماشاء الله، عروستنا زي القمر، دي أحلى من وصفك يا آدم بكتير!

ابتسمت حور في خجل وأكملوا الحديث وتحديد موعد الخطوبة وتفاصيل كل شيء، وكان آدم طوال الجلسة ينظر إلى حور من طرف عينه، ويبعث لها بنظرات إعجاب، وبعد أن انصرفوا سألته أمه:

– إيه يا حبيبي، إنت مرتاح ولا لسه قلقان من إنك اتسرعت في خطوة الخطوبة دي؟

– أنا مستني رأيك يا ماما، شايفة إيه؟ إنتي شوفتيهم ع الطبيعة؟

– أنا ارتحت جدا يابني، وبقول إن ربنا هيكفأك بالبنت دي والبيت الطيب ده.

– بصي ياماما، أنا خايف صحيح، بس سعيد وحاسس أحاسيس أول مرة أحسها، بايني وقعت ومحدش سمى عليا يا أم آدم، و إنتم يابنات رأيكم إيه؟ نشوف كده التصويت كام لكام؟

– عروستك سكرة ورقيقة يا آدم؛ ربنا يقويها ويصبرها عليك بقى!

نظر آدم إلى سندس بنظرة حادة، فضحكت لتجعلها مزحة وقالت:

– لا ياحبيبي، بهزروربنا يسعدك، زي الفل هي وأهلها.

– و إنتي ياست سلسبيل؛ رأيك إيه؟

– جميلة جدا حبيبي، ربنا يتم عليك نعمته ويجعلها فرحة عمرك.

وصل آدم وأسرته إلى بيتهم، وهم في مدخل العمارة وجد صديقه وجاره ممدوح وهو ضابط جيش وخاطب منذ سنة، وقبل أن يكمل زواجه تم نقله إلى الواحات في حركة التنقلات

الأخيرة، فأجل زواجه، وهو يحب آدم مثل أخيه، وقدرا هو أيضا وحيد مع أختين، فنظر إليه في تعجب واستغراب، وقال له:

– معقول يا آدم؟ صحيح اللي بفكر فيه ده؟ ولا أنا بحلم؟ شكلك كده راجع من عند عروسة!

فأجاب آدم وهو يعطيه التحية العسكرية:

– تمام يا فندم، وتمت العملية بنجاح.

هجم ممدوح على آدم وحضنه بكل قوة، ورفعه من فوق الأرض وأخذ يصيح:

– بجد؟! ألف مبروك، ألف مبروك.

وسمعت أم ممدوح الصياح، فخرجت من شقتها على صوت ألف مبروك، فقالت:

– صحيح؟

فضحكت أم آدم وقالت:

– صحيح!

فأخذت الجارة تزغرد، وامتلأت العمارة بالزغاريد والفرح بآدم.

– لينا حديث طويل يا آدم؛ تحكيلي حصل ازاي ده!

– طبعا، لازم أقولك تفاصيل الجريمة كاملة يا حضرة الظابط!

وضحك الصديقان، وعادا إلى أجواء المناسبة التي وكانت ليلة فرح للجميع.

وصل آدم شقته فدخل مسرعا غرفته، وأغلق الباب واتصل بحور:

– ألو، أقسم بالله وحشتيني الحبه دول، وكنتي زي البدر المنور، إنتي عملتي فيا إيه يابنتي؟ ده أنا رجعت مراهق تاني، تصوري؟ و أنا بفكر حتى أتصل بيكي قلبي بيدق، آه والله بيدق!

سكتت حور وهي تضحك في صوت خافت، فهي لا تعرف بماذا سترد على هذا الكلام الجميل، ولكن كان قلبها ينبض بسرعة؛ جعلتها تتخيل أن آدم يسمعه في الهاتف.

– بالراحة عليا يا آدم كل الكلام الحلو ده مرة واحدة، طب أقول إيه؟ مش عارفة!

– هو إنتي شوفتي حاجه! أنا هكتب فيكي قصايد زي أمي! وبعدين إنتي كنتي عجباني، ودلوقتي أعجبت بأسرتك كلها؛ حتى أبوكي ده زي العسل مع أنه يبان جامد شويه!

– بابا دا ما فيش أحن من كده والله، إنت عارف إنه اتجوز ماما بعد قصة حب كبيرة؟

– بجد؟! لازم تحكيلي حكايتهم!

– كانوا جيران وكان الحب بالنظرات وبس، لا كلام ولا مقابلات، ولما خطبها مكنش بيسلم عليها غير بالإيد الشمال علشان جهة القلب، وبيقول كل الناس ليهم إيد و(زينب) ليها إيد، وهي بتعتها لوحدها وبس، ولو نحاول نمسكها بالعافية يزعل، والله مش هزار.

– بتقولي مين؟ أمك اسمها زينب؟

– أيوه! فيها إيه دي؟

– ماما كمان اسمها زينب، مش ممكن الصدفة دي؟ الله! دي علامات على فكرة!

– بجد؟ مش معقول! فعلا صدفة تحفة، طنط اسمها زينب!

– نرجع بقى للحاج (حسن) أبوكي، كان إيه ياست الكل؟ بيسلم بإيده الشمال على الحاجة زينب علشان جهة القلب، وتبقى بتاعتها لوحدها، ده أبوكي حبيب قديم بقى، لا! احجزيلي آخد كورس عنده، الحاجات القديمة دي انقرضت.

ضحكا وأكملا المكالمة بكل ارتياح وسعادة.

***

وتمت الخطبة بوجود العائلتين وبعض أصدقاء العروسة، وصديق آدم وجاره ممدوح وخطيبته، وعندما شاهد ممدوح حور جلس بجانب آدم وقال له في صوت خافت:

– بقى الملاك دي هتعرف تتعامل معاها زي اللي بتعرفهم؟

– أعرف مين يا عم الظابط؟ أنا فقدت الذاكرة خلاص، ومافيش فيها غير الملاك دي.

– (أفلح إن صدق!)

– والله صادق.

– أنا هقولك كلمة واحدة: حافظ على الهدية؛ حور دي هدية من ربنا ليك.

– عارف والله، وفرحان بالهدية جدا، وهحافظ عليها.

***

كانت مشاعر حور تكبر وتنضج مع مرور الوقت، فلاحظت من آدم بعض الطباع التي اعترضت عليها، ومن

أهمها الاهتمام بنفسه أولا وقبل أي أحد. كانت جملة (أنا أريد هذا) تتكرر كثيرا، وعندما واجهته بذلك قال إن كل البشر يهتمون بأنفسهم أولا، ولكنها وضحت مخاوفها من هذا الطبع بعد الزواج، فلا بد أن يكون (نحن نريد) وليس (أنا أريد)، فبالزواج هناك اثنان وليس هناك واحد فقط، والمهام سوف تكثر، فتكون المسؤولية مشتركة، وعلى رب الأسرة أن يفضل أهل بيته على نفسه، وهذه هي الرجولة والقوامة...

ولما كان عليها أن تفهمه أكثر طلبت أن تلتقي أمه بمفردهما لمعرفة المزيد عن شخصية آدم ومخاوفها من هذه الأنا العالية عنده.

كان جواب الأم أن آدم كان صبيا وحيدا على بنتين، وأبوه رحمه الله كان لا يرد له طلبا، فكون شخصيته بهذا الشكل، وعلى حور بحبها واهتمامها بآدم أن تسعى ليتغير ويشعر بالمسؤولية، فيقوم بواجباته، فأشارت حور إلى أن آدم طلب منها أن تفكر في الحجاب، وأن قرارا مثل هذا لا بد أن يكون نابعا منها، وتكون مقتنعة حتى لا يأتي وقت وتخلعه بسرعة مثلما ارتدته بسرعة، فأجابتها الأم:

– طبعا لازم تكوني مقتنعة بأي قرارتاخديه في حياتك، أنا عملت كده مع سلسبيل وسندس؛ هما اللي قالولي

ماما احنا قررنا نتحجب من غيرما أطلب منهم خالص، لكن كانت تربيتي وسلوكي وطباعي مع اللي حوليا هي اللي بتوجهم وبس، وطالما هما اللي طلبوا يبقى عن اقتناع وليس ضغط مني. يبقى هو ده الصح...

بس قولتلهم إن القرار ده هيجي وقت والشيطان هيخليكم تشككوا فيه جوه نفسكم، وتقولوا إنكم اتسرعتم لما تعملوا شعركم وتتزوقوا وتشوفوا نفسكو حلويين ف يوم من الأيام...

وفعلا مرة سمعت بنتي سلسبيل بتصرخ وتقولي: جالي، جالي، الحقيني يا ماما، جالي... جربت لاقيتها قدام المرايا وشكلها جميل جدا، فقولتلها: في إيه يا بنتي؟ قالتلي: يا ماما، الشيطان جالي، ووسوسلي، وقالي إنتي لو خرجتي بمنظرك الجميل ده؛ الكل هيعجب بيكي وليه لا!

فقولتلها: وبعدين؟ قالتلي: ماتخفيش يا ماما أنا حرقت دمه وقولتله: إنت بتحلم، مش هسمع كلامك لأن ماما قالتلي إنك هتجيلي و أنا مستعدالك.

فضحكت وأخدتها في حضني، وعرفت يعني إيه تقنعي بناتك بحب وتوصليلهم الرسالة بإقناع، وطبعا في ناس في أسرتنا اعترضوا، وقالولي ليه كده؛ دول

لسه صغيرين، طب لما يتجوزوا ولا يتخطبوا، وكأن النصيب مش هيجي للمحجبة. معندهمش يقين في الله؛ إن كل شيء مقدر، واحنا علينا الاختياربين هوى النفس وما يحب الله أن يرانا عليه، لذلك كتبت قصيدة بالمعنى ده...

ضحكت حور وقالت:

– معقول يا ماما كل موقف في حياتك بتكتبي عليه قصيدة؟

فابتسمت الأم وقالت:

– فعلا ياحور، حاجات كتير مش بعرف أعبر عنها غير بالكتابة، وكأن الكلام العادي مش بيسعفني؛ علشان كده بكتب اللي جوايا على هيئة أبيات توصف مشاعري.

– طيب، أحب أسمعها لو ممكن؟!

– طبعا، بس مش عايزه نبعد عن الموضوع اللي بنتكلم فيه.

– أسمعها الأول، ونكمل موضوعنا، إحنا ورانا إيه؟

وبدأت الأم في إلقاء القصيدة...

(أمر اختياري)

بناتي هما اللي طلبوا يتحجبوا
كبروا ولحكمة الخالق اتعجبوا
عرفوا أن جسمهم عندهم أمانه
وماسمعوش كلام فلان ولا فلانه
ولأن ربنا خلق الجمال جوانا
وبقلوبنا هيحسابنا في يوم لقانا
ففي قلوب فاضيه وقلوب مليانه
من بره صالحه ومن جوه متهانه
ولأن الحجاب مش ستات متغطيه
الحجاب منع النفس عن كل راضيه
ففي نفوس ضعيفه ونفوس مرضيه
ومش هختار مين فيهم يبص عليه
ومش هحاسب الناس بنظرتهم ليا
وأنا مسؤوله عن كتابي بين إيديا
يبقى المسأله محسومة وبديهيه

– الله يا ماما! الكلام بسيط وسهل، ربنا يكرمك ويعزك.

– الله يعزك ويسعد قلبك حبيبتي، إنتي عارفة ياحور سلسبيل اتعرفت على كريم جوزها ازاي؟ كانوا في

الجامعة سوا، وكان أكبر منها بسنة، وحصل موقف اتعرفوا على بعض في أول يوم دراسة ليها، وبعد كده بيشوفوا بعض في الجامعة طول السنة، و اتعلقوا ببعض، وكانت سلسبيل على طول بتحكيلي و أنا بتابع معاها كل الأحداث...

وبعد سنة تقريبا قالتلي إن كريم عايز يتقدم ليها لأنه صرح لها بحبه، ولا بد إن يكون التعارف بعد كده في إطار رسمي، ولما صارحت أبوها قال: لا طبعا، دول لسه طلبة، بعد ما يخلصوا، وكان طلب سلسبيل إنها تريد فقط دبلة تحدد شكل العلاقة علشان متحسش إنها بتعمل حاجة غلط، وميتقالش دي البنت بتاعه كريم، لا، يتقال دي خطيبة كريم وأمام ربنا تكون مرتاحة، ولكن أبوها رفض وقال لا، وصمم.

عارفة سلسبيل عملت إيه؟ تاني يوم دخلت علينا، وقالت لأبوها: أنا قطعت علاقتي نهائي بكريم، وحتى مش هكلمه في التليفون يا بابا (ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه) وخرجت وراحت غرفتها. أبوها اتفاجأ بكلامها و انبهر ببنته اللي مش راضية تغضب ربنا، وبتحافظ على سمعتها، فقطعت العلاقة بينها وبين حبيبها، وفجأة وبصوت عال نده أبوها عليها،

فرجعت تاني، فقالها: غلبتيني يا بنتي، ومش عيب إنك تغلبيني في الصح، قولي لكريم ييجي يقابلني، وربنا يقدم اللي فيه الخير...

وفعلا بعد مجهود مع أبوه هوكمان؛ لأنه مكنش راضي يخطب لابنه غير لما يخلص جامعة، ومش مقتنع إنه ييجي يخطب سلسبيل لابنه أساسا.

– ياه يا ماما! دي حكايه تدل على إنك ربيتيهم على القيم والأخلاق ومصارحة النفس، ده معناها إنك كنتي قدوة ليهم، واتحجبوا من نفسهم؛ وطبعا بيصلوا. بس ليا سؤال! هو ليه آدم مش زي إخواته البنات؟ وحتى مش بيصلي؟

– عندك حق! العادي البنات في البيت وتحت نظري على طول وشايفين كل اللي بعمله، بس آدم أو أي ولد بيكون قدوته أبوه وهو توفى بدري، فحاولت أكون مكانه لكن منفعش، وبطبيعة الحال الأولاد ما يقعودش في البيت، وتكون أسرتهم الحقيقية الصحبة اللي بيقضوا معاهم أطول الأوقات، وكان لآدم صديق مخلص وكويس جدا؛ جارنا ممدوح، وكنت بطمن إنه معه، لكن بعد ما دخل الكلية الحربية في الجيش من الثانوية العامة وظروف شغله

بعدتهم عن بعض، لذلك مهما أعمل مع آدم بيفسده أصحابه، ولكني حاولت كتير، ويشهد الله، ومش بايأس، وعندي أمل فيكي تساعديني نكون جبهة مع بعض ضد أصحابه السيئين. ها يا حور؛ هتكملي وتساعديني؟ والا هتنسحبي؟

ولأن حور قد تعلقت بآدم فقد قررت خوض التجربة إيمانا أن الحب يحدث المعجزات.

– هكمل يا ماما، وربنا معايا وحضرتك طبعا هتساعديني.

– طبعا حبيبتي، يا ست البنات يا عاقلة، وربنا معانا.

وتحدثت أم آدم إلى ممدوح، وطلبت منه أن يجد وقتا يتكلم مع آدم في الطريقة الصحيحة كي يقدر أن يحتفظ بحور، ويقرب وجهات النظر، وحكت له الأحداث، ووعدها أنه في أول إجازة هيقابل آدم، ويتحدث معه وأن له معه جلسة مطولة.

***

وجاء موعد حنة سندس أخت آدم الصغيرة، وذهبت حور إلى الحنة هي وأمها، وفي وسط الحفل وقفت أم آدم وبدأت تلقي الشعر وفي وجهها سعادة ممزوجة بحزن لأن

ابنتها ستتركها وهي الصغيرة وآخر العنقود، وكانت القصيدة قصيرة لكن مملوءة بالمشاعر الحميمة.

(آخر ليله)

آخر ليله في بيت أبوكي
مع أكتر ناس في الدنيا حبوكي
استني يا ساعه؛ ليه بتجري
أنا لسه كنت حطاها بحجري
وإنت ياقلبي ليه دقاتك عاليه
يمكن علشان الصغيره الغاليه؟
كنت بعمل كل حاجه تعوزها
دلوقتي هي هتعمل لجوزها
طب يا دقايق رايحه فين؟ استني!
ده المفروض أرقص وأغني
لكن الدمع في عيني جامد محبوس
أدخل آخدها في حضني وأبوس
طب مش ناسيا حاجه في الشنطه
وأضحك وأرْقَع زغروطه أونطه
الظاهر؛ الساعه مش هتقف تاني
أروح أحضر عشاها وأظبط فستاني

***

تأثر الجميع بالقصيدة وسهولة كلماتها النابعة من القلب، وبعد أن انتهت من القصيدة وجدوا الدموع على وجه أم آدم وتأثرها، واكتملت الليلة الجميلة والكل في فرح وابتهاج.

وذهبت حور ثانية في اليوم الثاني للفرح، وكانت كالملكة المتوجة بين أسرة آدم وهو يتحرك معها في كل مكان في القاعة يعرف أسرته عليها، ويمسك بيدها الشمال جهة القلب مثل أبيها وكأنه وجد كنزا يتباهى به وسط الناس، وهذا أسعد حور وأحست بحبه وقربه منها.

***

بعد أن تم زواج سندس أصبح الدور على آدم في تحضير بيت الزوجية، فبدأت حور في اختيار الأثاث والفرش، وكان آدم سعيدا باختياره لحور وكأنه وجد نموذجا مثل ما تمنى في خياله.

وتحدد يوم الزفاف. كان يوما مشهودا بالنسبة لحور، فهي تحب آدم، ولكن كانت مثل أي فتاة لا تريد ترك أمها وإخوتها. كانوا ينظرون لها والدموع تملأ عيونهم وهي ترقص مع آدم، وتطير من بين يديه كالفراشة، فتذهب وتأخذهم من أيديهم وترقص معهم وهم حولها في كل مكان.

كانت ليلة جميلة، وحضر ممدوح جار آدم الفرح مع خطيبته الجميلة، وأثناء الفرح أخذ ممدوح آدم وتحدث معه، وأخذ يوصيه على حور؛ فقال له آدم:

– مش وقت نصايح النهارده يا دوحا، إحنا لينا قعده بعد الفرح؛ نتكلم فيها براحتك.

– أنا مسافر بعد يومين، وعند عودتي إن شاء الله نكمل حديثنا، المهم تحافظ على النعمة اللي في إيدك؛ ماشي يا عريس؟

حضنه آدم وقال له:

– عقبالك يا حضرة الظابط.

– إنتم السابقون ونحن اللاحقون، أنا حجزت القاعة زي النهارده الشهر اللي جاي لو ربنا أذن.

– على بركة الله يا ممدوح.

وضحك الصديقان.

***

انتهى الفرح، وذهب العروسان إلى مسكن الزوجية. فتح آدم باب الشقة ودخل هو أولا، ثم نظر إلى حور وقال:

– في إيه يا حبيبتي؟ وقفة بره ليه؟ ادخلي مملكتك.

– لا، شيلني زي الأفلام.

وابتسمت في دلال، فتهلل وجه آدم، وحملها ودخلا عش الزوجية؛ ليبدأ أول فصل في قصة الحياة الجديدة.

حرص آدم على طمأنة حور على أنه ليس أنانيا ولا متحكما. فقضيا شهر العسل في شرم الشيخ بين المناظر الطبيعية الجميلة والشواطئ الرائعة، ولكن حور كانت تراقب نظرات آدم لكل من تمر عليهما من الأجانب ويطيل النظر إليها، فتعاتبه بمزاح وتلفت نظره أن هذا يضايقها، ويقلل منها لتظن أنها لا تكفيه.

كان يمزح ويقول:

– يعني هي عامله كل ده علشان نبص عليها؛ يرضيكي نكسفها ومنبصش، والنبي تزعل.

– طيب خلاص، عندك حق، أقلع أنا كمان بقى علشان تبص عليا.

فانفعل آدم ونظر إليها باستغراب:

– تقلعي إيه يا ست البنات؟ أنا حريمي ما تقلعش!

– ما أنا عايزه أملأ عينك ومتبصش لغيري، فهاقلع علشان ميبقاش عندك حجة، بس معرفش بقى كام واحد هيبص عليا غيرك!!

فعقد آدم حاجبيه وقال في غضب:

– متقوليش الكلام ده تاني علشان مازعلش منك، إنتي أحلى منها ميت مرة، ومالية عينيا الاثنين والله!

– يبقى خلاص، تغض بصرك ولا تزعلني ولا أزعلك، إنت بتعمل حاجات متناقضة كتيرومحير اني؛ تقوللي فكري في الحجاب و إنت تبص على العريانين، تقوللي متقلعيش و إنت مش بتصلي، أنا مش فهماك والله!

وبعدين؛ إنت صدقت إني ممكن أقلع علشان أرضيك؟! لا طبعا، لأني مش خايفة منك، أنا باحترم جسمي لأنه أمانة من ربنا ليا؛ بحافظ عليه، وماما كانت تقولنا كل واحدة فيكم هي زينب في الشارع أو أي مكان؛ لأن اللي هيشوفك إما يدعي لأمك أو يشتمها لأنكم تربيتي...

فدايما كنت بفكر إزاي أجعل الناس تدعي لأمي أنها أحسنت تربيتنا.

– كلام جميل ويسعدني، بس إنتي فاكرة إن كل اللي بيصلوا ناس كويسة، ولا المحجبات كلهم كويسين، ده ربنا رب قلوب، والأعمال بالنيات، ومش إنتي اللي هتحاسبيني.

– ماشي، ده كلام اللي معندوش إجابة. المهم عندي إنك متبصش على غيري من غير كلام كتير، وبعدين هو ليه أنا مش ببص على غيرك، فكر كده، وقوللي تحليل للموقف يقنعني أني مالية عينك.

– حاضر ياستي، هحاول، بس الرجالة في العادة يبصوا على كل مكشوف، لكن لما ييجوا ياكلوا أكل صحي ميوجعش البطن ياكلوا المتغطي النظيف اللي معمول في مكان نظيف.

– يا سلام ع التحليل اللي يفتح النفس! طيب يالا؛ زمان البوفيه فتح و أنا جعت.

وضحك العروسان...

***

مرت الأيام وانتهى شهر العسل سريعا، ورجعا إلى بيتهما، وفي اليوم الثاني ذهب آدم وحور لزيارة أمه والإفطار معها، فأعدت الأم الإفطار وانتظرتهما، ولكن في الطريق سمعا أخبارا عن تفجيرات في الواحات، وأنه يوجد جنود كثيرون استشهدوا وجرح كثير، فانخلع قلب آدم، وقال منزعجا:

– ممدوح في الواحات! لا، لا، لا، يا رب يكون مش معاهم! يارب!

– لا حول ولا قوة إلا بالله، اصبريا آدم، يمكن يقولوا أسماء اللي استشهدوا.

خلص البيان وأخذ آدم يقلب في القنوات ويسمع نفس الخبر دون ذكر أسماء وهو في ذهول.

عندما وصلا إلى عمارتهم وقف أمام شقة ممدوح ولم يسمع شيئا، فاطمأن قليلا وصعد إلى شقتهم، وطرق بقوة، ففتحت أمه مفزوعة وقالت:

– خير يابني؟ بتخبط جامد كده ليه؟ حمد الله على سلامتكم، في إيه يا حور؟ مالكم؟ اتكلموا!

دخل آدم وجلس بجانب التلفزيون وفتحه بسرعة وقالت حور:

– في تفجيرات في الواحات يا ماما، وآدم خايف على ممدوح!

– (فزعة) لا، ربنا يستر! مش معقول؟ يعني هي الوحات مفهاش غير ممدوح؟ اصبروا بس...

وفي هذه اللحظة بدأ نشر الأسماء، وسمع آدم اسم (ممدوح محمد حسن) قائد الموقع الذي استشهد فيه؛ هو وجنوده جميعا، فصرخ آدم وقام من جلسته وأخذ يخبط رأسه على باب حجرته وهو يقول:

– يارب! يارب! ده صحبي وأخويا وحبيبي وجاري وسري وعمري، معقول يا ممدوح مش هشوفك تاني؟

وأخذ يبكي بحرقة؛ لم تشاهده حور قبل ذلك في هذا الموقف، وراحت الأم تبكي وتهدئ ابنها، وتقول:

– معقول أمه ما تعرفش؟ ما فيش صوت عندهم تحت! يا حبيب قلب أمك يا ممدوح.

– أنا نازل أشوفها يا ماما، أحسن يكون حصلها حاجة وهي لوحدها تحت.

ونزل آدم بسرعة وطرق الباب ومعه حور وأمه، وفتحت أم ممدوح وهي في استغراب من هذه الزيارة المافجئة من آدم وأمه وحور، فنظر لها آدم وقال:

– حبيبتي يا أمي!

نظرت أم ممدوح باستغراب ولاحظت وجه أم آدم وحور المليء بالدموع، فارتعش جسدها وفقدت توازنها وكادت تقع لتوقعها سماع خبر موت ممدوح، فأخذها آدم في حضنه بسرعة وقال:

– ممدوح في الجنة يا أمي، في الجنة والله، في الجنة...

فاتسعت عينا أم ممدوح وتحجر فيها الدمع، ونظرت إلى آدم:

– صحبك عريس، ده حدد معاد الفرح، إنت بتقول إيه يا آدم؟ ده فرحه يوم الخميس اللي جاي، تعالى أفرجك البدلة والكرافته، وحتى جاب الجزمة. تعالى شوف.

فبكي آدم وقال:

– هو فعلا عريس يا أمي، عريس في الجنة، اتمسكي يا أمي عيطي، عيطي، هترتاحي لما تصدقي إنه في الجنة، عريس الجنة يا أمي.

انهارت أم ممدوح بالبكاء وفي هذه اللحظة دخل والد ممدوح من الباب عائدا من الشغل بعد سماع الخبر والاتصال به من القيادة وهو منهار، وأخذ زوجته في حضنه وضمها بقوة، وقال لها:

– الصبر، الصبر يا أم ممدوح، القادة بتوع ممدوح قالولي ابنك راجل، وممدوح قالهم بلغوا أمي إني مت راجل. ابنك مامتش، ابنك في الجنة عايش، واللي ماتوا هما اللي قتلوه يا أم ممدوح. أقولك على حاجة تريح قلبك وتطمنك ابنك؛ وهما بيلفوا في كفنه بعلم بلده شافوه بيضحك ومبتسم علشان شايف مكانه فين، يا أم ممدوح اِهدي كده، واذكري الله، واحتسبي علشان ربنا يبعت لنا الصبر ويبرد قلبنا.

وقف آدم مع والد ممدوح وقال له:

– أنا معاك يا عمي في أي حاجة، أنا زي ممدوح، و إنت عارف ممدوح كان إيه بالنسبالي، أنا جنبك أهو.

فأخذه في حضنه ومسح على رأسه بحب، وقال:

– طبعا يابني، ده إنت حبيب الغالي.

تمت مراسم الجنازة، وكانت أم آدم دائما مع أم ممدوح تواسيها وتزورها إلى أن انتهى العزاء، ودخل آدم بعد هذا الحادث في حالة حزن شديد، وكل وقت يمر يتذكر ممدوح وكلامه ومواقف له.

***

مرت الأيام وجاء يوم خرج آدم من هذا الحزن؛ فعندما عاد إلى المنزل وجد حور في المطبخ وهي في حالة إعياء شديد، وكادت الأطباق تقع من يديها، فتحرك آدم بسرعة وأخذها من يديها، فأخبرته أنها تشعر بدوار منذ الصباح الباكر، ولا تعرف السبب، فقال آدم بضرورة الذهاب إلى الدكتور في المساء.

بعد فحص الدكتور كان الخبر السعيد بالحمل، ففرح آدم وتمنى أن يكون ولدا، وتمنت حور أن تكون بنتا، وبدأ النقاش في الأمنيتين، وفي وسط الجدل تذكر آدم أمه، فقال:

– لازم نبلغ ماما ومامتك ونفرحهم، أنا نفسي ماما تفرح، من يوم موت ممدوح وهي حزينة كأن ابنها هو اللي مات.

واتصل آدم بأمه:

– ألو يا أمي، عندي خبر جميل ليكي، إنتي فين؟

– خير يا حبيبي، أنا قاعده مع أم ممدوح.

– طب كويس، خدي الخبر بقى، هتبقي جدة إنتي وهي، وأجمل ولي عهد جاي في الطريق.

– بجد؟ الله أكبر، ألف مبروك ياحبيبي، ربنا يتم عليكم نعمته، خبر فرحني في وسط الحزن ده وأم ممدوح بتباركلك وبتدعيلك حبيبي.

– الله يبارك فيكم، ودعو اتكم بقى!

***

بعد أربعة شهور تبين أنه توأم: ولد وبنت، فقالت حور لآدم:

– ربنا حب يرضينا إحنا الاثنين فرزقنا ولد وبنت.

وبدأ آدم وحور في اختيار أسماء الأطفال واستقرا على (زين) و(زينة) مع العلم بمعرفتهما مدى صعوبة التوأم في

أول سنتين في التربية والاهتمام به، فهو يحتاج إلى مجهود مضاعف، ولكنهما كانا في منتهى السعادة، ووعدها آدم بأنه معها يدا بيد.

وكانت حور تحرص على زيارة أم آدم بصورة منتظمة لتطمئن عليها، فهي تعيش بمفردها بعد زواج سندس، وأيضا تحب الحديث معها وتشجعها على استحمال آدم بكل طباعه، وحين جلست معها وجدتها حزينة، فسألتها عما بها فقالت إنها كانت تكتب قصيدة لتهديها لأم ممدوح، وبعد الانتهاء منها قررت ألا تعطيها إياها لأن القصيدة حزينة، فخافت أن تجدد الأحزان، فطلبت منها حور بحماسة سماع ما كتبت في ممدوح فقالت:

– طيب ممكن تقوليها ليا يا ماما، و أنا أقولك تعطيها لأم ممدوح، والا لا.

– طبعا كنت هقولهالك حتى لو مش هقولها ليها.

وراحت أم آدم تلقي القصيدة وحور تنصت في صمت...

(ضحكة شهيد)

مستغربين ليه من ضحكتي؟ أنا شايف مكاني في جنتي!
مت راجل، يامَّا بلغوكي أكيد، بكلامهم ياما صبروكي
اطمني يامَّا أنا هجيلك في منامك، هاجي وأحكيلك

عن جنة كانت متحضرة؛ عامله حسابها ومتخضرة
عارفة يامَّا؛ شوفت مين؟ كل زمايلي المجندين
أنا فرحي يامَّا هيكون هنا وسط ملايكه مخصوص لنا
كنت فاكر ذنوبي كتير؛ شوفتها قدام عيني بتطير
اتغفرت يامَّا كلها؛ مش كنتي شيلة همها؟
كأنها ملح وفي بحر داب، وقالولي ادخل من غير حساب
كنت فاكر اليوم ده بعيد،
وكنت ناوي أصلي والله بعد العيد
قولي لأخويا الموت مالوش مواعيد...
وإن العمر لو راح مش ممكن تعيد
واللي قتلوني يامَّا موجودين بس على راسهم شوك وطين
فاكرين الجنة للجبارين وهي يامَّا للموعودين
قتلوني وهما بيكبروا وفاكرين بقتلي هيطهروا
أنا كنت باحمي أهلي وناسي، وكنت جانبي ولا إنت ناسي
خطفوك وقلولك إيه عني خلاك تكرهني وتلعني
فات أوان اللوم،
وخلاص جه وقت حساب الغدر والإخلاص

...

وفي نهاية القصيدة وجدت أم آدم حور تبكي والدموع تملأ خديها وقالت:

– الله ياماما! جميلة ومأثرة، وف نفس الوقت تفرح أم ممدوح بمكانته عند ربنا، يا ريت تقوليها لأم ممدوح يا ماما، إنتي كده بتصبريها وتبردي قلبها.

– بجد ياحور ريحتيني! أنا كنت مترددة جدا، بس خلاص هقولها.

***

صارت حور مع الأسابيع الأخيرة للحمل صعبة الحركة لحجم التوأم، وكان آدم يعلم مدى هذا الألم، لكنه لا يحتمل الروتين، فكان يخرج باستمرار ويعود بعد منتصف الليل إلى المنزل، وهذا كان هذا يزعج حور، لكنها كانت تعطيه العذر لتعبها وعدم مقدرتها على الخروج والانطلاق معه مثل السابق.

***

تمت الولادة في موعدها، وبدأت حور مشوار العذاب مع التوأم، فقد ساعدها في أول الأمر وجود والدتها وحماتها ثم أختها حتى الأربعين، وبعدها تولت حور المسؤولية كاملة...

وأصبحت مع التوأم (زين وزينة) بمفردها ما بين رضاعة ونوم الطفلين بالتناوب؛ واحد ينام والآخر يصحو، وتغيير حفاضات، وأعمال منزلية، وترتيب وعمل الطعام لزوجها،

وعدم النوم إلا متقطعا، فكانت منهكة شاحبة اللون، واليوم ينقضي في هذه المهام فقط.

أما آدم فقد مل سريعا من البيت فهو لا يقدر على استحمال بكاء الأطفال وإزعاجهم بالليل والنهار، وأيضا لا يريد مد يد العون لحور ليخفف عنها الحمل؛ حتى بحمل طفل واحد لحين إنجاز عمل للطفل الآخر، أو تحضير شيء يطلبه هو منها...

ازداد خروج آدم من المنزل والرجوع في وقت متأخر من الليل.

– إنت برضو خارج وهتسبني يا آدم زي كل يوم؟ ما تقعد النهارده معايا، وحشتني!

– أيوه، يعني أنا لو قعدت في البيت هتبقي معايا، إنتي خلاص كفاية عليكي عيالك مالين وقتك وحياتك، ومفيش وقت ليا، يبقى أخرج مع أصحابي أحسن، إنتي كأنك بقيتي مربية للأولاد ونسيتي آدم.

– ربنا كرمنا بتوأم زي القمر، بس عايزين مجهود جبار، وإنت مش حاسس خالص يا آدم. أنا مش بقولك متخرجش، بس لو خرجت شوية وجيت بدري يبقى عدلت بينا وبين نفسك، وبكده هتخفف الحمل عليا، وساعتها ممكن نقضي مع بعض وقت جميل.

يالا إنت نيم (زين) و أنا أنيم (زينة)، ونقعد مع بعض شوية، والله إنت واحشني جدا، بس أعمل إيه؟ دي مهمة صعبة عليا، و إنت شايف بنفسك.

– لا يا سيتي، خليكي في مهمتك الصعبة وسيبيني أنا أخرج مع أصحابي؛ ماشي؟ إنتي عارفة أنا مش بقدر أقعد في البيت، بموت زي السمكة اللي بتخرج من البحر.

– بس المفروض إن أنا بحرك يا آدم اللي لازم تكون معايا فيه، ومع ذلك ده أنا بقولك على حلول عشان نقعد مع بعض و إنت برضو عايز تسيبني وتخرج.

فنظر إليها آدم وخرج من الغرفة وتركها تتحدث مع نفسها.. أين الحب وأين آدم ووعوده بالوقوف بجانبها منذ عرف أنه توأم؟ وماذا تفعل حيال هذه المشكلة؟

هل الحل أن تأتي بمربية للأولاد حتى يكون هناك وقت لآدم ولنفسها؟ ولكن الأمر مكلف، وهما في أول الطريق ودخلهما لا يسمح بذلك، محتارة، وليس هناك حلول إلا الرضا بالأمر الواقع حتى تمر هذه الفترة الصعبة.

حاولت خلق وقت لتخرج فيه مع آدم وتترك الأطفال مع حماتها لتستعيد فيه اهتمام زوجها ونفسها، ولكن سرعان ما عاد كما كان من قبل، وانشغلت بمرض الأطفال

بين النزلات المعوية، والتسنين، والإسهال، والتطعيمات، والحمى... وكل يوم عند الطبيب.

وهكذا تدور الأيام عليها ولا تجد وقتا لنفسها لتنظر في المرآة أساسا وهو لا يساعدها ولو بالكلمة الطيبة والتشجيع على هذا الحمل المضاعف مع التوأم، فما الحل إذًا؟

وفي هذا التوقيت تعرف آدم في العمل على عمر وأحمد، وهما مثله متزوجان ولديهما أطفال ولديهما نفس المشاكل، أو ما يعتقدون أنها مشاكل، فكانوا يخرجون للترويح، غير أن أحمد كان أكثر اعتدالا من عمر وآدم، يقضي معهما وقتا قليلا للترويح عن نفسه، ثم يرجع إلى منزله ليجلس مع زوجته وأولاده ولإعطاء فرصة لزوجته لترتاح قليلا من الوقت، فيقرب من أولاده في نفس الوقت، وبذلك أحدث التوازن بين ما يريد وما تريده زوجته؛ ليشعر الاثنان بالرضا عن حياتهما المتوازنة.

لكن كان هذا الفكر يزعج آدم وعمر فيسخران من أحمد حين يتركهما بعد فترة قصيرة ويعود إلى منزله لقضاء بعض الوقت مع زوجته والتخفيف عنها عناء اليوم مع الأولاد وحدها، ويقولان له إنها مهمتها التي خلقت من أجلها، وإن هذا ضعف منه، ولا بد أن يكون قويا، واتهماه بالخوف منها.

– ما أنا كده قوي، بس بطريقة الرجال اللي هما قوامين على النساء، بس إنتم بتفهموها على هوا نفسكم، لأن القوامة تعني الاعتناء بيها مش التسلط عليها يا رجالة!

أحمد كان مؤمنا أنه يبني لنفسه مكانا داخل بيته وبين أولاده، وبذلك خلق السعادة لنفسه بنفسه، ولم يهرب من مسؤوليته ويتهم زوجته بالتقصير والإهمال دون أن يتعب ويسعى، ويمد يد العون ليخلق السعادة لنفسه بنفسه أولا ولأهل بيته أيضا، لكنه كان يسمع كلامهما ويبتسم بنفس راضية، ويقول:

– كل واحد عارف شمس داره بتشرق منين!

فيضحك عمر وآدم ويقولان:

– إنت منين يا أحمد؟

ويضحك الجميع.

ومع مرور الوقت قل خروجهما معه، وأصبح آدم وعمر التوأم الذي لا ينفصل، وتطورت الخروجات إلى مرافقات البنات، وقضاء الليل برفقتهن، والعودة في الفجر كل ليلة.

وفي يوم عاد آدم إلى المنزل فوجد زوجته حور في انتظاره بعيدا عن حجرة الأطفال، وتزينت في ملابسها وتعطرت

بعطرها المفضل لديه، وترقبت دخوله إلى حجرتهما ليجدها في انتظاره بابتسامة شوق ودلال:

– كده يا آدم؟ كل ده تأخير؟ ده أنا نمت وصحيت و أنا في انتظارك، هو كل يوم كده؟

– إنتي عايزة إيه بالظبط؟ محتاجة فلوس، ولا ناقصك حاجة؟ إيه مشكلتك و إيه اللي مصحيكي الليلة دي؟ ما أنا كل ليلة برجع بتكوني نايمة، ولا أكون وحشتك لا سمح الله!

– والله بتوحشني حبيبي! إنت بتوحشني أوي بجد، ليه بتعمل كده معايا؟ بتعاتبني إني باعتني بأولادك وبيتك، ومش عايز تشاركني المسؤولية حتى ولو بالتشجيع بالكلمة الطيبة، صدقني؛ دي فترة وهتعدي، متخليش وقت صغير يضيع علينا وقت كبير جاي.

اقتربت حور من آدم واحتضنته وأطالت في الحضن، ولكن هذه المرة ليس بسبب شوقها له، ولكن للتأكد من الرائحة الحريمي في ملابسه، ثم سحبت رأسها بهدوء من على كتفه وهو في برود تام، ووجدت شعرة طويلة سوداء، وهي شعرها أصفر فأخذت تصيح:

– إنت كنت مع مين؟ و إيه الشعرة السودا دي؟ و إيه الريحة الحريمي دي يا آدم؟ رد! رد!

فارتبك آدم، وأزاح يدها بسرعة فهو فعلا كان يقضي الليلة مع صاحبة الشعر الأسود:

– شعر إيه؟ وريحة إيه؟ إنتي هيستي ولا إيه؟

– أنا مش هبلة يا آدم! رد عليا؛ يالا، كنت مع مين؟

– بصي بقى، أنا دماغي دي متكلفة، ومش فايق أرد على الكلام الفارغ ده، أنا كنت مع عمر صحبي و إنتي قاعدة وعاملالي محكمة. يالا روحي نامي شوية قبل ما أولادك يصحو.

– كده يا آدم؟ إنت بتدمر علاقتنا، وبتدمر نفسك، والنهاية هتكون وحشة!

– خلاص، بس بقى! كل دي أوهام في دماغك، إنتي بس ومافيش دليل عليها ولا برهان، يعني الاتهام ده تستحقي عليه ثمانين جلدة علشان بتتهميني دون دليل.

وضحك باستهزاء، وأدار رأسه، ولكن حور غضبت وارتفع صوتها وقالت:

– إنت بتضحك. ماشي، أنا أستاهل ثمانين جلدة، أما إنت بقى تستاهل مية جلدة أمام الله لأن ربنا مش هيسيب حقي وهتشوف.

– أشوف إيه ومية إيه يا حلوه، اتكلمي على قدك، مين ده اللي يجلدني، يالا تصبحي على خير، نامي، نامي، قال مية جلدة؛ قال!

قضت حور ليلتها في حجرة ولديها تحبس بكاءها حتى لا توقظهما بعد أن غيرت ثيابها، وخلعت زينتها في حالة يأس، وراحت تسأل نفسها: هل هي مقصرة لهذه الدرجة؟ أم هو ضعيف النفس ولا يقدر على تحمل المسؤلية معها، ولا يرى غير نفسه وما يريد؟

تكرر الأمر بعد ذلك كثيرا، وفي كل مرة يتهمها بالشك، وأنها متوهمة، ومضت الأيام بعضها مثل بعض، فقررت أن تشتكي لحماتها ما يفعله ابنها، وحكت لها كل ما حدث، وأن الشك يميتها.

كانت أم آدم تحب حور لمعرفتها بمدى حبها لآدم وإخلاصها له، وكانت امرأة حكيمة، فقالت لها:

– مش رايحة أواجه آدم بالشكوك دي، بس رايحة أقدم له قصيدة توضح اللي عاوزاه من غير نصايح، أنا أعرف ابني؛ ما يحبش اللي ينصحه، ولا يسمع إلا لصوت نفسه وصحابه اللي مافيش حد فيهم تقدري تقولي عليه إنه صحبة طيبة؛ كلهم بيتباهوا أمام بعضهم باللي يقدر يخدع مراته ومتعرفش تقفشه،

والمظاهر عامية عينيهم، وتشوفيهم من بره بيلمعوا ومن جوه ريحتهم عفن، واللي يزعلك إنهم مش شامين ريحة بعض ولكن الناس النظيفه بس هي اللي بتشم ريحتهم الحقيقية، واتكلمت كتير ومافيش فايدة، ودي مشكلتي معه دايما. سامحينا يا حور، أبوه هو اللي دلعه علشان ولد وحيد، وأنا وإنتي اللي بنجني ثمار الدلع ده، لكن الله المستعان، أديني بحاول وبنصح، بس بطريقة غير مباشرة، وفعلا بعثت له بقصيدة بعنوان الشك.

(الشك)

أمواج الشك عاليه؛ تصيب القلب بدوار
والشك إذا مر بدار خلع أبواب وجدار
مثل إعصار جائر يقتلع جذور الأشجار
والقلب ينزف متألم من كشف خبايا وأسرار
والعقل يريد تبرير، والقلب توقف وانهار
مع كل تبرير زائف تشتعل في القلب النار
ويجف الحب من المنبع من بعد ما كان أنهار

***

استمعت حور للقصيدة وأعجبت بها، وبدأت حماتها في توجيه بعض النصائح، فقالت لها:

– إن الرجال ليس لديهم الطاقة التي أعطاها الله للمرأة من تحمل، فقد أعطانا كل ما هو مؤلم جسديا، فهل تعتقدين أن الرجل يتحمل مثلنا الحمل والولادة والرضاعة والفطام والتربية وكل توابع ذلك على المرأة؟ من الأقوى يا حور؟

فتهلل وجه حور بابتسامة تسلي قلبها كونها الأقوى، وأكملت الأم الحديث:

– و أيضا الرجل يعتبر نفسه الابن الأكبر عندك، ويغار من اهتمامك بأولادك الصغار وتركه بعد ما كان الطفل المدلل قبل مجيء أطفالك، فضعي ذلك في اعتبارك، فالرجل بمجرد دخوله المنزل يعتبر نفسه أتم عمله ولا بد أن يرتاح، ولا يستطيع أن يرى زوجته على مدار الساعة تعمل وليس لديها إجازة من المسؤلية...

وقليل من الرجال من يفهم هذه المعادلة الصعبة، ويمد يد العون ولا يبخل على بيته بنفسه ووقته لتكتمل لهما السعادة، وعليك بالمحاولة، ولا تيأسي أن تجعليه جزءا من حياتكم أنت وأولادك.

– يا أمي آدم اتغير، حتى الحاجات اللي عارف إني بحبها؛ زي وردة أو شكولاتة ودي حاجات مش مكلفة غير إنه يتعب نفسه ويرضيني بيها، لكن خلاص مش

بيفكر إنه يفرحني، ويعتبر إن دي حاجات هايفة ورومانسية ملهاش لازمة.

تقبلت حور نصائح حماتها بالتحمل ومواصلة العطاء والاهتمام بنفسها، ومعرفة طبيعة زوجها وأنها قوية.

قرأ آدم رسالة أمه وفهم منها أن حور عندها واشتكت لها، فذهب وطلب منها أن تسامحه، ووعدها بالتغير، وأنها لن تغضب منه مرة أخرى، وسوف ترى كل جديد يفرحها. وصدق في ذلك ليومين بالعودة مبكرا، غير أنه في اليوم الثالث رجع لعادته القديمة بالعودة فجرا.

في الصباح التالي وجد رسالة عمل بالحضور إلى مقر الشركة للضرورة، فذهب آدم مستعجلا وعلم أنه منتدب من الشركة إلى ماليزيا لاتمام مبنى إداري ضخم وسط المدينة، ومعه عمر وأحمد، فاجتمع بزميليه، ثم قال:

– سمعتم الخبر الجميل؟ دحنا هنهيص!

– أيوه يا سيدي، ماليزيا! كان نفسي أروح أنا وسما مر اتي في شهر العسل، بس الظروف كانت صعبة.

– أدينا هنروح ونهيص يا عم الحاج.

– مر اتك إيه؟ وحماتك إيه؟ إحنا هناخد أجازه؛ مش تقول شهر عسل! أنا هفرجك على العسل هناك بقى!

– لا ياسيدي، خليلك إنت العسل، أنا شبعان.

– أنا أول ما قولت لجيهان على السفر فرحت جدا كأنها هتخلص مني ومن طلباتي.

– طيب يالا بقى نبدأ في تحضير كل ما يلزمنا ونرتب الأمور، وخلينا على اتصال لحد معاد السفر، تمام يا شباب؟ واللي يفتكر حاجة يفكر الباقي؛ ماشي؟

ورجع آدم إلى المنزل ليخبر حور بالسفر ووجدها في حالة ضيق.

– مالك ياحبيبتي، إيه معكننك؟ في إيه؟

– متقولش ياحبيبتي، حبيبتك الوحيدة هي نفسك، و أنا فعلا غلطانة.

– طبعا، غلطانة حبيبتي. (وضحك آدم بسخرية)

– عارف غلطانة ليه؟ علشان كل اللي حواليا قالولي مش هيتغير، و أنا قولت لا، ده بيحبني وعارف إني بحبه، ودي فترة وهتعدي ويعرف مسؤولياته، لكن مكنتش أتصور إنك كمان تتصور على موبيلك مع واحدة زي دي، وبتضحك أوي وفرحان، مين دي؟

– صورة إيه بس؟ دي واحدة معجبة، وحبت تتصور معايا، لكن أقسم بالله ما في بيني وبينها حاجة!

– والمفروض إني أصدق؟! ماشي يا آدم، بس لما تشوف صورة ليا مع معجب متزعلش، ماشي؟

– إنتي بتقولي إيه؟ اتجننتي؟ مش من حقك حتى تهزري في الموضوع ده، ومتقرنيش نفسك بيا خالص؛ أنا راجل.

– أيوه راجل، يعني إيه؟ إنت فاهم يعني إيه راجل؟ يعني ربنا وصاك عليا، وبعدين هاتلي أي من التشريعات السماوية تقول إن الرجال يغلطوا والستات لا. كل تعاليم الدين تقول إننا في الحقوق والواجبات متساويين، لكن إحنا في مجتمع لا يرى إلا غلط الست، ويبرر غلط الرجل.

– أيوه بقى، إجري على أمي واشتكلها وهي ترقعني قصيدة من بتوعها؛ اللي محدش بيقراهم غيرنا، ناقص تعملهم مجلد نصايح وصفات أبله نظيرة للتربية في الحظيرة.

وضحك آدم باستهزاء وهذا جعل حور تغضب.

– إنت كمان هتتطاول على أمك؟ الله يهديك يا آدم! ده هي بتراعي مشاعرك، ومش بترضى تكلمك مباشر، وبتكتب قصايد؛ يمكن تحس وتفهم اللي بتقوله.

– طيب إهدي كده وسيبك من الهري ده، واسمعي الخبر ده أنا منتدب من الشركة لماليزيا، والمدة مفتوحة لحين الانتهاء من مبنى إداري ضخم، إيه رأيك بقى؟

نظرت حور إلى آدم في نظرة يأس، فهو يحاول مثل كل مرة أن يخرج من الفخ وينتصر بأنه بريء وهي الموهومة الشكاكة.

– سفر؟ ما إنت مسافر أو مش مسافر مش موجود، يالا بجملة أنا فوضت أمري للي لا يغفل ولا ينام وعندي يقين في عدله.

– يا ربي على الغم ده! أنا فاكرك هتفرحي، دي فيها بدلات، وقرش حلو.

– خلص الكلام يا آدم، بالسلامة، وربنا معايا ويقويني على زين وزينة.

– طيب بقى، أنا معايا عمر وأحمد في السفرية دي، اِبقي كلمي جيهان مرات عمر، وسما مرات أحمد، واتقابلوا كده، واخرجوا؛ إنتم والأولاد، هترتاحي معاهم، ستات محترمين جدا.

– إن شاء الله.

***

وصل آدم إلى المطار، ووجد عمر وأحمد في انتظاره، ثم ركبوا الطائرة، وانطلقوا في سفرهم، وحين وصلت الطائرة كانوا متشوقين للخروج من المطار لمشاهدة هذا البلد الجميل، وفعلا كانت سيارة الشركة في انتظارهم لتوصلهم إلى مسكنهم.

الطريق كان ممتعا بلوحات فنية من جمال الطبيعة، وحين استقروا في السكن تواصلوا مع أسرهم، واطمأنوا عليهم.

***

بعد عدة أيام تواصلت حور مع جيهان زوجة عمر وسما زوجة أحمد، واتفقن على اللقاء في كافيه وجلسن يتحدثن.

– أهلا جيهان، أهلا سما، كان نفسي أشوفكم من زمان.

– و أنا كمان، أهلا بيكي وأهلا سما، اتشرفت بيكم.

– أهلا بيكم، و أنا كمان كان نفسي أشوفكم.

– كنت عايزة أسالك سؤال محيرني ياجيهان.

فابتسمت جيهان وقالت:

– على طول يا حوركده أسئلة، مش نذاكر شوية قبل الامتحان؟ اتفضلي، خير إن شاء الله.

– آدم كل مرة يتأخر، يقوللي كنت مع عمر، متعرفيش بيروحوا فين؟ أصلي شاكة إنهم بيخرجوا مع بنات، والا إنتي مش ملاحظة على جوزك اللي أنا ملاحظاه على آدم.

– لا، ملاحظة طبعا، بس مش بسأل علشان ما أزعلش، ولو سألت وكدب عليا هزعل أكتر، فكبرت دماغي من الآخر.

– بتقولي إيه؟ سامعة يا سما؟ ما تحضرينا، يبقى إنتي مابتحبيش عمر يا جيهان ولا إيه.

– سامعة يا حور، وعايزة أسمع هتقول إيه.

– أولا، أنا بحب عمر طبعا، وعارفة إنه بيحبني، لكن لو واجهته بكل الشكوك دي هيطلعني أنا السبب، و إني مقصرة وباهمله، وإن من حقه يشوف نفسه، وأطلع أنا اللي ظالمة ومفترية، طب ليه ده كله...

ما أنا فعلا مش زي زمان في أول جوازنا، كنت ليه لوحده، وبعد ما الأولاد شرفوا اتوزع مجهودي على أربعة، ولو اشتكيت وطلبت المساعدة يقوللي ما كل الستات بتعمل اللي إنتي بتعمليه، ويفكرني بأمه وازاي كانت مخلفة دسته وحماتها وحماها كانوا كمان معاها في البيت، وكانت زي الجبل، وعمرها ما اعترضت ولا

طلبت مساعدة، ولا حسينا إنها تعبانة، لكن مايقولش طبعا إنها عندها كل الأمراض المزمنة، ومش بتقدر حاليا تتحرك غير بصعوبة، وهي لسة مدخلتش على الستين...

يعني هلكوها ومع ذلك حماتي رأيها زي ابنها؛ إن الست لازم تستحمل والراجل مينفعش نتعبه، وتبقى كارثة لو سمعتني باقول هاتلي حاجة و انت جاي؛ تقولي ما تنزلي إنتي تجيبي، ما كفاية عليه شغله، وكأنها مش شايفة أنا باتعب قد إيه، و أنزل بالأطفال كمان، ومع ذلك باستحمل...

واسمعوا الأجمد بقى؛ بنتها تشتكي إن جوزها مش بيساعدها ف حاجة؛ والحمل كله عليها، تقوم حماتي تقولها لا، لا، مينفعش كده، لازم يساعدك ويتحمل مسؤولية معاكي، طيب ليه كده؟ مش أنا المفروض زي بنتك؟!

ومرة واحدة اشتكيت إنه بيتأخر بره البيت، وساعات بيبات عند صاحبه و إني شاكة إنه بيعرف واحدة؛ عارفين كان الرد إيه؟ شوفي إنتي مقصرة ف إيه معاه، وبعدين ما هي كل الرجالة كده، بس الخايب هو اللي بيتقفش...

طيب أقول إيه بقى في التربية دي؟ وعلشان تعرفوا يعني إيه الكيل بمكيالين أول ما بنتها شكت في جوزها، قالتلها ليه يبص بره؟ هو يطول واحدة زيك؟ سيبي البيت وتعالي واحنا هنربيه ونعرفه قيمتك قليل التربية أبو عين زايغة. أقول كمان ولا كفاية، ومع ذلك صابرة وباعتبرها مرحلة وهتعدي ف حياتي، لكن كل مدى الحمل بيزيد، وطبعا مش هقول؛ ما إنتم عارفين الباقي، فاسكت أحسن وأريح نفسي من المواجهة.

– يا خبر أبيض ياجيهان! طيب، تشوري عليها بإيه يا سما في حالتها دي؟

– بصي يا حور، اِحنا مختلفين في رأينا، وكمان في أزواجنا وحماوتنا؛ كل واحدة عارفة طبيعة جوزها وحماتها وطبيعتها، فمينفعش مثلا تقولي نصيحة، وتنفع مع غيرك؛ لأنها من الآخر غيرك.

– طيب، أنا فاهمة كل ده، بس بخصوص آدم إزاي هو مش شايف أنا حملي تقيل قد إيه وكأنه عايز يبرر لنفسه الغلط، ويطلع نفسه مظلوم، وبيكون في البيت ودماغه مش معايا، ويمكن كمان يكون في حضني وبعيد عني برضو، شوفتي أصعب من كده؟! طيب ليه الوحدة فينا بمجرد ما تتجوزبتكتفي بجوزها

وأولادها عن أي راجل تاني حتى لو عجبها، وبيكون حبها ليهم حبها للدفاع عن حياتها واستمرار الإخلاص، لكن الراجل بيستبيح إنه يعمل أي حاجة تريحه حتى لو على حساب بيته واستقرار حياته وإخلاصه ليهم.

– لا، لا، ما تعمميش يا حور، في أزواج كتير عارفين يعملوا التوازن ده ومتربين صح، وعارفين واجبتهم ودينهم وحدودهم، لكن اللي اتربي بطريقة غلط بيكدب كتير، وبيغلط كتير، وبيكون السبب الأهل في الدلع الزايد، أو تفضيل طفل عن طفل، فيشعر الآخر بالضعف، فيحب الظهور ولفت النظر؛ يعني من الآخر مريض، ولازم يتعالج وبيكون صعب على كبر.

– أقولكم العيب فين، وماتتريقوش عليا؟ العيب في الأمهات اللي بتخلي الابن مميز عن أخته في أنها هي اللي تخدمه وميخدمش نفسه، وعلى طول البنت هي اللي تعمل، يالا حضري الأكل لأخوكي، هاتي لأخوكي يشرب، اِعملي قهوة لأخوكي، مع إن أخوها مأنتخ في البيت، ومش بيعمل حاجة، لكن يطلع معتبر البنت خدامة، ولما يتجوز يعامل مراته زي ما اتربى في بيته، وميساعدش في أي حاجة، ومعتبر أن دي الرجولة. والبنات تروح بيت جوزها على أنها لازم تخدم في

استسلام حتى لو هي كمان بتشتغل وبترجع هلكانة زي جوزها، لكن هو يرجع عايز يأكل وينام، أما هي؛ فلا، مالهاش الحق ده خالص، وكأنهم حافظين مش فاهمين. الله يسامح الأمهات دي، أفسدوا جيل بحاله؛ طالع أناني إلا من رحم ربي منهم.

– عندك حق يا جيهان، هو فعلا زي ماقولتي، إنتي عارفة أمي؛ كانت بتشتغل لحد ما أنا اتولدت، وقبل الولادة بابا سأل ماما لو عايزة تكمل في العمل ولا تقعد في البيت، وكان جوابها أنها هتقعد في البيت، وقالتلو إنت ربنا هيحاسبك على الدخل الحلال اللي هتصرف علينا منه، و أنا ربنا هيحاسبني على الذرية الصالحة اللي هخرجها للمجتمع، فكل واحد يتقن عمله، لأني لو اشتغلت زيك ورجعنا إحنا الاثنين من الشغل تعبانين...

مين هيستوعب مين؟ ومين هيستوعب الأولاد، و أنا هاكون ظلمت نفسي بمهمتين، وصعب أتقنهم، وقليل الناس اللي تقدر، لكن أنا مش هاقدر، وأولادنا ومطالبهم الكتير وده دوري الرئيس وأولها السكينة والهدوء في البيت، فكلمة سكن تأتي من السكينة، فالأم هي اللي بتربي أكثر من الأب لتواجدها المستمر

في البيت وتربية الولد والبنت، ولو كان عندها الكيل بمكيالين زي حماتك؛ ضيفي إنها تسمح للولد أنه يصاحب ويعرف بنات وتتفاخر بكده، لكن لو بنتها عرفت شاب تبقى ليلة سوده على البيت كله مع أن في الحالتين ده غلط، لكن الكيل بمكيالين وإن الراجل ما يعيبوش حاجة مهما عمل مع أن ربنا ساوى بينا في الحقوق والواجبات، لكن مش حافظين غير الرجال قوامون على النساء، وفاكرين إنهم بكده ربنا فضلهم علينا ومش فاهمين أن ده تكليف من ربنا بالاهتمام بينا...

بس أنا حاسة إن عندك حماة صعبة جدا، والا أنا متهيئلي. الحقيقة أم آدم ست زي السكر ومتفهمة وأحسن حاجة فيها إنها شايفة غلط آدم، وبتشجعني أصلح معاها اللي أفسده أبوه؛ الله يرحمه، وده بعطيني قوة الاستمرار.

– هي حماتي صعبة بس؟! والله طيبة! لكن هي كمان حافظة إن مرات ابنها مش بتحبها وربنا عالم إني بعاملها ازاي، و أنا عارفة أن في مراتات ابن وحشين وبيقسوا الأزواج على أمهاتهم، لكن أنا والله مش كده خالص؛ وربنا عالم، كمان هي مش حاسة إنها صعبة

وبتقول على نفسها مش حماة، وبتقول هو إنتم شوفتم حموات، ده أنا حماتي كانت بتعمل وتعمل، وتحكيلي حاجات هي نفسها بتعملها بس بطريقة تانية؛ يعني بتجود بس في العمايل.

فضحكت حور وسما من كلمة بتجود، وأكملت جيهان الحديث:

– حماتي عندها الكيل بمكيالين فعلا يا حور زي أمهات كتير؛ اللي ماترضهوش لبنتها ترضاه لمرات ابنها وتشوفو عادي. ابنها مبيغلطش لكن جوز بنتها بيغلط، ويكون نفس الموقف بالظبط، لكن تقولي إيه بقى؛ لو اتكلمتي تطلعي غلطانة وفهمة غلط وحاجة كده مينفعش فيها غير الدعاء بزيادة الطاقة لتحمل المو اقف، وفي حاجة غريبة هقولكم عليها؛ الرجالة أكثرهم ما شفوش أبوهم وأمهم بيقولوا كلام حب ومجاملة؛ زي تسلم إيدك حبيبتي أو تعبناكي معانا، لأنهم بيعتبروها ضعف منهم أو بيعتبروها لازم تعمل في صمت زي الماكينة أو الخدامة، ولو في غلط يتكلموا زي مثلا الملح زيادة ليه، لكن لو الأكل حلو ميقولش تسلم إيدك، لأنه لازم يكون حلو فهمتم قصدي ومثلا زي أقولك ليه كلمة حب، ما إنتي عارفة

إني بحبك وخلاص، قولت قبل الجواز، هو أنا هفضل أقول بقى، هو ضمنك في البيت ميعرفوش إن الكلمة دي زي الأكل والشرب؛ ماينفعش نبطلهم ونجوع ونعطش، بس تقولي إيه بقى؛ تربية غلط وفاكرينها رجولة إنه يبقى بخيل في مشاعره، ويقولي هو إنتي ناقصك إيه طيب؟ هو أنا كان ناقصني إيه في بيت أبويا يا ناصح؟ وفي حاجة تانية: إحساس الراجل أن الفلوس اللي بيكسبها دي بتاعته وهو اللي تعب وكسبها، وهو بيجود عليكي بالصرف: أنا ليا وجهة نظر فيها، هو أنا لما بنزل أجيب الخضار أطبخ، وبغير للعيال، وبرضعهم وبربيهم، وبنظف البيت، وبذاكر، وأروح النادي، و أكون زوجة ليك بأخد أجر على كل ده والا هو واجبي؟

– لا، هو واجبك، وماينفعش حد يذل حد باللي مفروض يعمله، والدخل بيكون ليكم إنتم الاثنين زي ما مجهودك لبيتكم وأولادكم إنتم الاثنين.

– ياااه يابنتي، ده إنتي شايلة ومعبية، وعندك حق في موضوع الفلوس والمجهودات دي، أما حماتك؛ أنا فعلا أعرف نماذج كده كتير، بس الحقيقة ماما معندهاش ولد إحنا ثلاث بنات، وهي بتحب آدم جدا

ودايما بتوصيني عليه، وده فضل من ربنا، وأظن برضو لما إخواتي هيتجوزوا هتحب أزواجهم.

– أيوه، هي لو عندها ولد كانت غارت عليه زي أغلب الحموات، يابنتي ده إحنا كنا عندهم في رمضان أنا وبنتها، وقبل السحور نايمين كل واحدة في غرفتها مع جوزها؛ ألاقيها فتحت الباب عليا أنا وهو عادي من غير ما تخبط حتى، وبتقولي قومي يالا علشان نحضر السحور، ولما سألتها فين بنتها؛ قالتلي اتكسفت أخبط عليهم، هنادي عليها من بره، أحسن يكونوا كده والا كده. طيب أرد أقول إيه؟ ولما هي حاجة تكسف وحتى ربنا بيقول استأذنوا؛ بتفتحي عليا الباب ليه؟ والا أنا مش زي بنتك، وأهو ده الكيل بمكيالين، وده موقف قيسي عليه الشخصية دي بقى تبقى ازاي!

– بصي، هو ساعات برضو إحنا بنتلكك، هي أمك ممكن تقولك النصايح بتاعة حماتك، لكن هي علشان حماتك مش بتتقبلي النقد، لكن اللي إنتي بتقوليه ده يا جيهان كده كتير وعيب. أنا أقدر أقولكم إن أحمد مش كده والحمد لله، وحماتي الله يكرمها ربت صح مع إنه في وسط بنات، لكن الكل كان بيعمل ومسؤول عن حاجته، وديما بتقرب مني وتقولي على

نصايح قيمة، وعمرها ما فرقت بيني وبين بناتها في المعاملة، وتربيتها لأحمد بالتجربة أثبت نجاحها جدا بعد ما اتجوزنا؛ أحمد بيساعدني كتيرلو يقدر، وعنده وقت مع أن أنا شخصية متعبة وعنادية وأحمد يعتبر بيروض فيا حبة بحبة، دي طبيعة، بس ساعات لما بتحبي حد بتحاولي تتغيري علشانه، وعلشان كده في مقولة سمعتها عجبتني وهقولهلكم إزاي إن الإنسان يهدأ ويبرد نار قلبه.

– إزاي والنبي، قولي يا سما؛ يمكن تنفع!

– بالاستغناء يا حور؛ فمن استغنى ترك، ومن ترك ملك، فمن أراد هجرك وجد في ثقب الباب مخرجا، ومن أراد وصلك ثقب في الصخر إليك مدخلا، فهمتي المعنى المقصود؟

– فهمت، وبدعي ربنا يبرد قلبي وأعرف أعمل كده، بس ده صعب جدا، وفي ناس هتفهمه صح، وناس مش هيفرق معاها الاستغناء، وهتتمادى في أسلوبها الغلط.

– بس الأصعب إنك تطلبي الاهتمام ويهتم علشان إنتي طلبتي، فتشعري إنها تأدية واجب ومش حب واحتياج، وده بيقتل بالبطيء كل المشاعرالجميلة.

– عارفين هو ديما الإنسان فاكر إن اللي مش معه هو اللي هيسعده، والنوع ده عمره ما هيشعر بالسعادة؛ لأن السعادة في الرضا بما منحه الله لك.

– يعني إيه يا جيهان؟ نسكت والا نتكلم؟ نقفل الشباك والا نفتحه؟ أنا احترت.

وضحكن على هذا التعليق الساخر لحور، ومن كونهن لم يجدن الحل لهذه المشكلة الصعبة.

***

وبعد انتهاء اللقاء ذهبت حور إلى حماتها وحكت لها عما حدث مع جيهان وسما، وقالت لها حماتها أنها تحدثت مع آدم قبل سفره ووعدها أنه سوف يتغير وأن السفر ده فرصة، وقال لها أن تبعث له كل يوم قصيدة، وهو بيضحك، وأنها سوف ترسل له بالعند فيه، فضحكت حور وقالت:

– ماتحاوليش تغيري حد غير لو هو أخدها بجد.

– الله، دي تنفع مطلع قصيدة يا حور، بر افو عليكي، هكتبها و أبعتهاله هناك.

– يا رب يفهم المعنى يا ماما، ما إنتي عارفة أكتر مني.

وفي هذه التوقيت رن جرس التليفون وكانت أخت آدم الكبيرة (سلسبيل)، وبدأت في الشكوى مثل كل يوم من

الوحدة ومن مسؤولية الأولاد وحدها، وأنها محتارة ولا تعلم ماذا تفعل، فهي تريد أن يعود زوجها حبيبها من السفر نهائيا ويستقروا حتى لو تأكل معه العيش بالملح فقط مع بعض، وسألت سلسبيل أمها إن كانت قد كتبت قصيدة على لسانها لتبعثها إلى زوجها، فأخذت الأم في تهدئتها، وقالت لها إنها كتبت القصيدة وسوف ترسلها لها.

ونظرت حور باستغراب إلى أم آدم، وقالت مبتسمة:

– هي كمان بتكتبي ليها قصايد؟

– بصي يا حور، إنتي زي بنتي وأصبحتي جزء من أسرتنا، وهقولك على مشكلة سلسبيل، جوزها في الغربة من سبع سنين، وكل سنة يقول خلاص آخر سنة وهانزل، لكن الفلوس بتغريه، وهو عنده ثلاث أولاد؛ ووخدين من سلسبيل كل وقتها وحياتها، لكن هي حاسة إنها مش عايشة، هما صحيح بيسافروا في الأجازات، لكن مش كفاية، وعلشان أنا مليش الحق أني أتكلم، لكن بصبرها، بس ده مش جواز؛ الجواز يعني اثنين في مكان واحد شايلين الحمل مع بعض، وكده تهون الشيلة، لكن لو كل واحد شايل لوحده هايجي وقت وتقع من إيده الشيلة، والطرف الثاني يلومه، بس بردو أنا ماليش إني أتدخل، وهي طلبت

مني قصيدة على لسانها فكتبتها. وبيني وبينك العيال اتعودوا على عدم وجود أبوهم، ولما بيجي أجازه بيبقوا كأنك مكتفاهم؛ لا هما واخدين عليه، ولا هو عارف طبعهم، فبتحصل المشاكل...

وعلى آخر يوم في الأجازة بيبقوا عايزين يقولولوا سافر بقى علشان ترجع الحياة الطبيعية من غيرك، وده مش عيب فيه ولا فيهم، لكن كأنهم ناس مايعرفوش بعض وقاعدين مع بعض، ودي مشكلة كبيرة بتواجهم...

ولو رجع بعد ما يكونوا كبروا هو كده فوت على نفسه الكتير من معرفة طبايعهم، وازاي يكسب حبهم، مش بس موضوع فلوس يبعتها، هو مش ماكينة فلوس، هو (أب) لازم يبقى موجود.

– عندك حق يا ماما، بس ممكن ييجي ويقعد من غير شغل وتبقى مشكلة برضو؛ يبقى إيه العمل ساعتها؟ ووجود الراجل في البيت باستمرار بيعمل مشاكل كتير لأن الأم على طول مشغولة وهو فاضي، وهيرفض حتى يساعد في البيت والأولاد وتزيد الأزمة. الواحد محتار والله!

– أنا بقول يكونوا فطن ويفهم قبل فوات الأوان إن الفلوس اللي بيتعب فيها دي للاستمتاع بيها مع أسرته

مش كل واحد لوحده. وده عن تجارب شوفتها قدام عيني يا حور؛ منهم اللي استغنى عن الحمل كله وعمل لنفسه حياة جديدة، واتجوز هناك وفي اللي رجع بعد فوات الأوان؛ من ابن ضاع كان محتاج أب أكثر من أم، وفي اللي رجع عيان وأصبح حمل عليهم أكثر، وصرف كل اللي حوشه في الغربة على علاجه، وفي اللي رجع في خشبة...

يا رب احفظنا، وكلها أمثلة عايزة تفكير وحكمة؛ إيه الوقت المناسب للرجوع.

– فعلا يا ماما، عندك حق، بس المعادلة صعبة بجد، طب ما تسمعيني بقى، أنا بقيت أحب قصايدك دي جدا؛ بسيطة وليها معنى.

– ده من ذوقك حبيبتي، تسلميلي حاضر، أنا كتبها على لسان سلسبيل؛ بتقول:

(رسالة إلى زوجي في الغربة)

الغربه يعني إنت بعيد
تشوف أولادك بمواعيد
لا تعرف مين نجح ولا مين بيعيد
والفجوه بينكم تكبر وتزيد
مش مهم تنزل بهدايا في العيد

اشتقتلك ولا إنت فاكرني حديد
طبعا قرار صعب وأحلاهم مر
والعمر والسنين بتجري وبتمر
وموازنا بين فلوس ونفوس تغر
تسألني أقولك قرارك وإنت حر
وناس عايزه الخير وكتير بيقر
وتقولي هي سنه، والسنين تكر
وأولادك يكبروا بعيد عنك أغراب
تشوفهم في أحلامك سراب
وتتمنى تحضن ولو حبة تراب
من وطن فيه الأهل والأصحاب
وفجأه تلاقي شبابك منك اتسرق
وحطيت بدالو في البنك ورق
والعزيز الغالي عنك افترق
تأخد عزاهم وقلبك اتحرق
وتبدأ تعيش في سن الستين
وطبيبك يمنعك من أكل البروتين
وتبعد عن الملح وأكل السمين
وطبعا عن السكر وعيش الطحين
ويفضل السؤال بين نفوس وفلوس
لا؛ إصحى وفوق من أكبر كابوس

إمسك أولادك واحضنهم وبوس
هما دول ثروتك والكنز المحبوس

***

سمعت حور القصيدة وأعجبت بها وبمعاني الكلمات القوية التي تحملها رسالة أم آدم، وقالت لها:

– كلامك من القلب وبيوصل للقلب، وده اللي بيخليني أحكيلك.

– قوليلي يا حور، إنتي ليه بتيجي تشتكيلي من آدم، ومش بتقولي لأمك مثلا.

– حضرتك عارفة إن ماما بتحب آدم، ولأني عايزة صورته تفضل كويسة وماما تفضل تحبه، بس يوم ما أتأكد إنه ما فيش فايدة و أقرر الانفصال لازم أقولها هي وبابا لأن طاقتي بدأت تقل، وآدم مش بيتغير ولا حاسس أساسا إنه في حاجة غلط.

– الحقيقة، وهو كمان بيحب أمك بجد، وبيقول إنها ديما بدافع عنه قدامك، وبعدين انفصال إيه اللي بتتكلمي عنه، إنتي وهو متقدروش تستغنوا عن بعض، وكويس إنك بتحكيلي، أهو ندور على حلول سوا، و أنا مش بيأس، وعندي حسن ظن بالله إنه هيتغير.

– ما أنا فكرت فيكي كمان علشان إنتي اللي مربية وعارفة مفاتيحه.

– الله يهديه ويبعد عنه الصحبة السيئة، آمين...

– أيوه يا ماما هي الصحبة السيئة هي اللي هتفرق مع آدم، لو غيرها بناس نظيفة تساعده إنه يشوف الدنيا من مكان تاني غير الأماكن اللي فاكرها نظيفة وهي أساس الفساد...

آدم يا ماما بيقيس الناس بمستواهم الاجتماعي، وماركة عربيتهم وساعتهم شكلها إيه، وبيبعد عن الجوهر، وده بيوقعه في ناس تزحلقه في الغلط، ولما أتكلم يقوللي دول كريمة المجتمع.

– دي مشكلتي معه من زمان والله، على رأي أمي كانت بتقول من زمان (في ناس تشوفهم من بره رخام ومن جوه سوخام).

وضحكت حور وأم آدم للمثل وتطابقه على الصحبة السيئة.

وانتهى الحديث بينهما، وكتبت الأم القصيدة وأرسلتها إلى ابنها، وحين وصلته لم يفتحها، وأظهر غضبه من الرسالة وقال:

– ياااا، يا ماما كفايا قصايد ونصايح! طب والله ما أنا قاريها، هو مافيش فايده فيكي!

– في إيه يابني؟ متعكنن ليه؟ رسالة إيه دي؟

– أمي يا عمر، مش بتمل ولاتكل من إنها تكتب قصايد وتبعتلي وكأنها أبلة الناظرة و أنا التلميذ البليد، هي مش عايزة تصدق إني كبير وعارف مصلحتي، لكن الأمهات كده كلهم.

– ربنا يباركلك فيها يا آدم، ما فيش بعد الأم حبيب، بتتمنى تشوفك أحسن واحد في العالم، ولما تبعتلك أي قصيدة فكر فيها وناقش نفسك، هي قصدها إيه، وتبعتلها كلمة تراضيها، دي دعوتها بيتهزلها السموات السبع، متزعلهاش علشان خاطري يا شيخ.

– حاضر يا أحمد، بس بتخنق من كتر النصايح، وحور تشتكيلها، ألاقيها رقعتني قصيدة كلها مواعظ مع إنها عارفة إني مش بحب حد يفضل يطلعني غلطان، أنا خلاص كبير و مش عيل صغير، يالا شوفوا مكان نخرج نتعشى فيه يا شباب، ونكتشف البلد دي، فيها أماكن ممكن نروش فيها.

– أيوه بقى، هو ده يالا بينا، بس بالراحة يا آدم، إحنا مش في بلادنا يا عم.

– بصوا بقى، أنا هاجي أتعشى معاكم وأرجع، لأن المدير قال لازم نكون في الموقع بدري، وأنا مش بعرف أنام متأخروأصحى بدري زيكم.

– إنت ابن ناس يا أحمد، ومش عايز تحرجنا وتقولنا إنتم منحرفين وأنا مش زيكم، شايف صاحبك يا آدم؟!

وضحكوا جميعا من كلام عمر، وذهب الأصدقاء للعشاء وبعده تركهم أحمد ورجع إلى المسكن المخصص لهم، وكانت شقة واحدة، ولكل واحد فيها حجرة.

وبعد أن انتهى آدم وعمر من العشاء أخذا يتجولان في شوارع المدينة وهما مبهوران من المباني الشاهقة والتحف المعمارية، فهذا البلد حدثت فيه نهضة حقيقية غيرت ملامحه وأفكار أهله وثقافتهم.

ركبا مع سائق يتحدث الإنجليزية، فأخذ يشرح لهم المعالم وتاريخها، فطلب منه آدم أن يدلهما على أماكن للترفيه والسهر، وفعلا أوصلهما إلى أقرب مكان من مسكنهما، وكان مكانا تقدم فيه الاستعراضات والمشروبات وكل ما تهوى النفس.

وأثناء الليل حضرت فتاتان لتجلسا معهما فرحب آدم وعمر بهما، وطلبا منهما الرقص والشرب فكان لهما ذلك،

وكان آدم وعمر في حالة انبهار بهما، وتطورت العلاقة من رقص وشرب إلى الذهاب معهما إلى مسكن البنات، فهما من بنات الليل، وهذه مهمتهما، وتأخر الوقت بهما ولكنهما رجعا إلى المنزل.

أصبحت عادة أن يسهر آدم وعمر كل ليلة ويعودا في الفجر وأحمد يراقب من بعيد ولا يتكلم حتى لا يكون مثل الناظر كما يقول أحمد على أمه.

وفي ليلة رجع آدم وعمر في الفجر مع سائق تاكسي يستمع إلى القرآن الكريم بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد، فتعجب آدم وعمر وسألا السائق إن كان يتحدث العربية، فأجاب أنه تخرج من الأزهر الشريف، وظل في مصر أم الدنيا خمس سنوات؛ كانت أحلى سنوات عمره، وتعلم العربية وحفظ القرآن كاملا، وإنه يحسدهما أن الله أنزل القرآن بالعربية؛ ولا بد أنهما يحفظانه بسهولة ويسر، وأنه كان يتمنى أن يكون مصريا أو عربيا؛ ليعرف أكثر عن دينه الذي اختاره الله له، فنظر عمر إلى آدم في خجل من كلام الشاب الماليزي الذي يعتقد أنهما حافظان للقرآن الكريم كاملا لأنه باللغة العربية، ولا يعلم أن قليلا من يعتبر هذه منحة من الله أنه باللغة العربية، وعندما نزل من التاكسي سأل آدم عمر إن كان حافظا للقرآن فأجاب

بإشارة من رأسه نافيا، وعبر بأسى كونه يحفظ من قصار السور اليسير فقط.

وصلا المسكن وهما في حالة سكر ونسيا ما دارا بينهما وبين السائق أساسا، وكانا يتحدثان بصوت مرتفع عند باب شقتهم عن قضاء ليلتهما مع النساء، وكيف كانت ممتعة، ويتباهى كل منهما بذلك، ثم فتحا الباب فوجدا أحمد يصلي الفجر، فدخل آدم حجرته دون أن يهتم، ولكن عمر جلس من التعب على كرسي بجانب أحمد وهو يصلي وكان يقرأ الآية: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي أَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾ **(الكهف:٥٧)**، فقام عمر من جلسته واتجه إلى غرفته وكأنه يهرب من كلام الآية، ولكن في بطء، فهو أيضا سكران ولا يقوى على المشي بسرعة، وتذكر كلام سائق التاكسي الماليزي حافظ القرآن كاملا؛ ماذا يحدث الليلة؟ وكأنها ساعة استيقاظ النائم.

وقام أحمد وفي الركعة الثانية قرأ الآية: ﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا**﴾ **(مريم:٦٠)**، فنزلت الآيات على قلب عمر كأنها منبه يوقظه من غفوته فانفجر بالبكاء.

انتهى أحمد من الصلاة فوجد الدموع تنهمر من عين عمر بغزارة وهو يستند على باب غرفته، فقال بابتسامة رضا:

– خير، خير، الدموع زي الأمطار؛ لو نزلت غسلت الأشجار و أنبتت الأزهار.

– حاسس بحجر على صدري يا أحمد، وحزين مع أني راجع من ساعة حظ زي ما بيقولوا والمفروض أبقى مبسوط، ولكني كل ما ينتهي وقت المتعة أحس بالقرف من نفسي، وفي كل مرة أكون فرحان في الأول وحزين في الآخر، وكأني باشرب من ماء مالح ما يروينيش، فعلا، باحس بالغلط، لكن بانسى الشعور ده بعد شوية وأرجع أعمل الغلط تاني.

– عارف وفاهم قصدك كويس، كل من يعتقد أن السعادة في المتعة لا يشبع؛ لأن المتعة لها وقت، ولكن السعادة في الرضا، والرضا يدوم طول الوقت.

أنا سعيد إنك و اقف تحلل نفسك وتواجهها، وتعرف إن الحرية اللي إنت؛ فاكرها سعادة بتزيد في حزنك وبعدك عن روحك.

وفي غيرك مش بيفوق غير بتجربة صعبة، وبتكون بمثابة جراحة لا بد منها لينتبه الإنسان ويرجع،

فالحمد لله إنك فوقت من غير تجربة صعبة تنهك. قوم يا عمر؛ توضأ وصلي الفجر، واسجد وأطل السجود فكل الأحجار ستسقط من على ظهرك وقلبك على الأرض، وأكثر من الاستغفار والدعاء فهذا بمثابة أوكسجين ينعش القلب.

– كلامك ريحني يا أحمد، يااااه، ده أنا كنت بعيد أوي فعلا.

– محدش فينا بعيد عن ربنا، كلنا في قبضة يده، وكل واحد منا ممدود له حبل من السماء لحد إيده، بعضنا يمسكه ويتوازن، وبعضنا يتركه ويتمايل، ومنا من لا يراه أساسا، وهم من يقول الله فيهم ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:١٧١).

– إنت كده ازاي يا أحمد؟ معقول مش بتضعف؟ مش بتغلط؟ أكيد الحياة علمتك كتير!

– لا طبعا، بضعف، أنا مش ملاك، بس طول ما أنا ماسك في الحبل باوازن بين مطالب النفس ومطالب الروح، إذا غلبت روحي نفسي ترفعها، وإذا تركت نفسي تتفوق على روحي هتشدني إلى أسفل، وعلشان كده بحاول ديما أغلب الروح على النفس، فهمت حاجة؟!

– أيوه فهمت، بس دي عايزة جهاد مع النفس قوي، ومدد من ربنا كمان.

– أيوه طبعا، طالما إنت نويت ربنا بيمد إيده ويساعدك، وهحكيلك أنا بدأت ازاي...

زمان و أنا صغير اتصدمت في موضوع، وكنت في إعدادي، يعني سن المراهقة، ومتخبط ف أفكاري، ودخلت عليا أمي وشافتني بابكي وحزين، سألتني مالك؟ قولتلها ماعرفش مالي، مكتئب وفي حجر على صدري، مش عارف أتنفس يا أمي...

قالتلي طيب بالراحة كده، هسالك سؤال، قولتلها اسألي، قالت لو التلفزيون عطل ومش راضي يشتغل هنعمل إيه؟ قولتلها إيه؟ قالت هنخده التوكيل لأنه هو اللي صنعه فهيعرف القطعة اللي عطلانة ويصلحها صح.

قولتلها صح، قالت طيب واحنا مين اللي صنعنا وخلقنا، قولتلها ربنا، قالت يعني لما نتعب ومنعرفش إيه اللي تعبنا نروح فين؟ قولتلها فين؟

قالت الله وكيلك، هات المصلى و افرشها وقف عليها، بقيت في التوكيل يا شاطر، وقول لربنا على كل اللي تعبك بقى، وهو هيصلح كل اللي جواك ويرشدك

ويدلك على فرح نفسك، وبعد شوية رجعت ماما وسألتني ها؟ يا أحمد إيه الأخبار؟

قولتلها محصلش حاجة ولسه حزين، فضحكت وقالتلي اصبر شوية، مش بيدور على الحتة العطلانة وبيصلحها كل ده بياخد وقت، خليك صبور على الفرج، لكن بيقين أنه هيفرجها.

وفعلا عملت كده، وكنت مش مصدق ماما غير لما خلصت كلام مع ربنا وارتحت جدا، ومن يومها و أنا عرفت إني مسكت في الحبل ومش بسيبه أبدا، وكأنها أعطتني دواء سريع المفعول...

طبعا هتقول ده كلام أطفال، لكن أنا من يومها و أنا عرفت مكان التوكيل، وعلى طول هناك في أي مشكلة تقابلني في حياتي حتى لما اتجوزت سما وكانت مش بتصلي وبعيدة عن ربنا و أنا حبيتها جدا...

لكن ما ينفعش تحبها في الصلاة بالعافية، وربنا قال ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه:١٣٢)، وكنت حزين، ولكن بعون الله و أنا في البيت بصلي ربنا ألهمني أقولها ممكن تعطيني أجر ثواب الجماعة يا سما، ونصلي سوا، فشعرت بأهمية ما تفعله من أجلي، ثم شعرت هي نفسها بعد فترة بتحسن في الحالة

النفسية لها، وبدون أن أطلب منها كانت تر اني أتوضأ فتذهب هي أيضا وتستعد لصلاة الجماعة، وبدون ضغط مني ولا توبيخ وهذا فضل من ربنا أعطاني الحكمة لذلك.

إنت عارف يا عمر؛ سعادة البيوت مش كلام، حب، وفلوس وبس، السعادة الحقيقية في الرضا بما قسم لك الله، فهي مودة ورحمة قبل كل شيء.

عارف إنت لو معاك ملكة جمال ومش عندك رضا عمرك ما في واحدة هترضيك، على طول عايز تغير، وفاكر أن دي طبيعة بشرية ولكنها عدم رضا.

معليشي وجعت دماغك بس حبيت أوضحلك.

– بتعتذر عن إيه، الله يكرمك ويعزك يا أحمد؛ أنا ارتحت جدا من الكلام معاك.

وذهب عمر إلى حجرته وكأنه شخص آخر، وتطهر وصلى وأخذ يدعو الله برجاء إلى أن طلع النهار، ثم اتصل بزوجته جيهان:

– صباح الفل من عندي ومساء الفل عندك، يا حبيبتي وحشتيني وكأني سنة مشفتكيش، ومعرفتش غلاوتك غير لما سافرت.

– إيه ده؟ مين اللي بيقول الكلام الحلو ده؟ معقول عمر؟

– يا عيون عمر، سامحيني إني كنت مقصر معاكي حتى بالكلمة الطيبة، كل شيء هيتغير صدقيني، بس إنت ادعيلي وارضي عني.

– حبيبي مسمحاك، وترجعلنا بألف سلامة، إنت كويس بجد؟ طمني عليك؟

– أنا مكنتش كويس، لكن دلوقتي كويس جدا، وبحبك جدا.

– لا، ده الموضوع كبير بقى، لما ترجع من الشغل لينا كلام كتير، ماشي؟

– ماشي يا ست البنات مع السلامة دلوقتي.

وذهب عمر وأحمد للعمل، لكن آدم لم يقدر على الاستيقاظ مبكرا، وسأل مدير الموقع عن آدم، فقال له عمر أنه في الطريق، وبعد الاجتماع خرج عمر يتابع العمل من خارج المبنى ويعطي التعليمات للعمال، ولكنه كان مجهدا فهو لم ينم طوال الليل...

وبينما هو ينظر حوله تنفس بعمق حتى يأخذ طاقة كي ينتعش فوجد سيدة جميلة جدا في المسكن المجاور للمبنى

الإداري في الدور الأرضي؛ تنظر له وتبتسم وكأنها تبعث له برسائل في هذه الابتسامة، ففهم بسرعة ما تريد وتذكر كلام أحمد بالأمس وجهاد النفس، وكيف أنه أمسك بالحبل، ولن يفلت منه مرة أخرى، فدخل مسرعا إلى المبنى وكأنه يهرب من ضعف نفسه، ثم وصل آدم في هذا التوقيت، فقال له عمر أنه مرهق وسوف يستأذن للحصول على وقت للراحة في المكتب، وهو يتولى الأمر مكانه ويتابع العمال، فوافق آدم، ووقف خارج المبنى...

ولكن السيدة الجميلة كانت في انتظار فريسة أخرى ومع أول ابتسامة لآدم وقع في الفخ. فبعد العمل رجع عمر وأحمد إلى المسكن، ولم يأت آدم؛ فقد ذهب وتعرف عليها، وعرف أنها متزوجة وعندها ولد وبنت، وزوجها يأخذهما إلى المدرسة، ويذهب إلى العمل كل يوم الساعة السابعة ويأتي الساعة الثالثة مع الأولاد، فأصبح يتردد عليها كلما سمح وقت العمل باستراحة للغذاء، ولاحظ عمر وأحمد ذلك.

وفي يوم عاد آدم فيه إلى البيت كان عمر وأحمد في انتظاره لمواجهته بما يفعل وتحذيره من العواقب الوخيمة.

– مساء الفل عليكم يا أحلى شباب وأحلى أصحاب.

– مساء الخيريا باشا، إيه الروقان ده؟ إحنا مستنينك تاكل معانا، جايبين أكلة حلوه.

– حلوة إيه! لا، بالهنا ليكم، أنا أكلت أحلى أكل وشبعان على الآخر.

– يابني أكلت فين بس؟ تعالى كل معانا.

– أكلت في الجنة يا عم، خليكم إنتم في الأرض.

– خلي بالك يا آدم، مش كل اللي بينور بيكون نور، ممكن يبقى نار!

– بدأنا بقى التنظير، والنصايح، من إمتى يا سيد عمر؟

– قول حاجة يا أحمد!

– أقول إيه يا عمر، وهو مش سامعنا أساسا؟!

– خلاص يا شباب، تليفوني بيرن، حوربتتصل، يا ريت نهدأ، وبلاش نسيح لبعض... أيوه يا حبيبتي عاملة إيه؟ وحبايبي عاملين إيه؟

– الحمد لله، حبيبي طمني عليك، بتاكل كويس؟ بتنام كويس؟ أنا عارفة إن تغيير المكان بيقلق شوية، بس معليشي؛ كل حاجة بتاخد وقت.

– لا، كله تمام، طمنيني ماما عاملة إيه، بعتت قصيدة و أنا مكنتش فاضي أقرأها.

– أيوه عندها أمل ومش بتيأس إنها تبعت قصايد؛ يمكن تنهك وتتغير أو تفوق.

فضحك آدم باستهزاء وقال:

– قوليلها ده عايز يزعقلوا نبي.

– ربنا يهديلك نفسك، مش هاقول أكتر من كده؛ يالا أشوفك بخير.

أغلق آدم الخط ونظر إلى أصدقائه فوجدهم في حالة ذهول، ثم انفجر أحمد غاضبا وقال:

– بتعرف تعمل كده ازاي؟ يا جبروتك! تبقى بتخونها وبتخون نفسك قبليها، وتكلمها كده عادي بوشين وبقلبين ولسانين، عايز أعرف بتنام ازاي بالليل، بجد بتعملها ازاي؟

– أحمد، إنت مش قلت مش هتكلم؟

– ماقدرتش! ماقدرتش! كلامه معها جنني يا عمر، وفكرت في لحظة إنها ممكن تكون أختي أو بنتي وتاخد شخص زي ده، هعمل إيه؟ خلى الدم يغلي في عروقي!

– بقولك إيه يا أحمد، إنت تعرف إيه عننا أنا وحور، مش يمكن هي السبب إني بعمل كده؟

– يعني مابقتش تحبك، والا إنت خلاص مش بتحبها؟

– لا طبعا بحبها، وعارف إنها مافيش في حياتها غيري أنا والتوأم، لكن اطفت ف عيني، وبهتت من ساعة ما خلفت، وبقوا الأولاد أهم مني عندها، وعلى طول مرهقة وشاحبة وأهملتني وأهملت نفسها؛ حتى لما بتحاول تيجي على نفسها علشان تسعدني، وتخلق وقت نكون سوا بتكون واحدة تانية غير اللي كنت أعرفها زمان؛ مافيش عندها حماس، ولا لهفة ولا الجنان بتعنا سوا، مافيش! وده مش ذنبي.

– شايف؟ إنت بلسانك بتقول إيه؟ بتيجي على نفسها، وتخلق الوقت علشان تسعدني، يااااه عليك! يعني هي عليها حمل تقيل؛ توأم وما أدراك ما يعني توأم، وبيت وأكل وتنظيف، وواجبات الأهل، والسؤال على أمك، وحافظة نفسها وبتتقي الله في كل الحمل ده، و إنت مش شايف غير آدم! عايز إيه؟ تسمي نفسك إيه؟

وبعدين بتقول اطفت في عيني، طيب حضرتك عملت إيه بقى علشان تنورها تاني؟ ولا إنت يا فتك؛ مش عارف الستات إيه اللي بينورهم؟ يابني الكلمة الطيبة بتزين الست...

لو سمعت منك كلمة إحنا تعبينك معانا حبيبتي؛ دي ممكن تهد الدنيا وتبنيها علشان تسعدك، ودي كلمة؛

يعني أضعف الإيمان. يابني أنا عندي طفلين يمكن كبروا شوية دلوقتي، لكن لما كانوا صغيرين كنت على طول مع سما على قد ما أقدر...

لما أرجع البيت و اتغدا وأريح شوية و أقوم آخدهم منها، وهي تريح شوية، وحسيت إنها فرصة أقرب بيها من أولادي وأريح سما شوية علشان تحس بالمودة والرحمة اللي ربنا قال عليها، فأصبح لي مكان عند أولادي ولي مكان عند زوجتي، وده التوازن اللي بقول عليه. أنا كان ممكن أعمل زيك و أقول أهملتني وأهملت نفسها، و أنا و اقف أتفرج عليها، وهي بتقع قدامي، ومش بساعد حتى بالكلمة الطيبة، لا وكمان أدي لنفسي حق خيانتها وإنها الغلطانة. يا بجاحتك يا أخي! إنت أناني جدا!

– شكرا يا سيدي على الموعظة والإهانة يا عم الشيخ!

– عارف يا آدم؛ المشكلة مش في حور، المشكلة فيك إنت، خلاص حور بقت عرفاك وحفظاك، إنت عايز حد تاني ينبهر بآدم ويمدح في آدم، لكن أنا عايزك إنت اللي تحب آدم، وتصلح فيه بجد علشان ترضى عنه، وتبقى مش محتاج ديما لحد يمدحك، إنت خلاص؛

هتبقى راضي عن نفسك، وساعتها هتشعر بالسعادة على حق.

كنت أعرف واحد كان بيحسد صاحبه على مراته، ويقوله مراتك مافهاش غلطة؛ أدب ودين، مال وجمال واصل، أنا لو دي معاية مش هبص لحد تاني، وتشاء الأقدار وتتطلق ويتجوزها هو، وبعد انقضاء فترة الانبهار بدأ الروتين والتعود على وجودها فحس إنها زيها زي أي واحدة، لأنه معندوش رضا عايز الجديد ديما، فالسعادة بتكون مؤقتة، لكن الرضا هو الدائم.

– معليشي يا آدم، هو انفعل علشان عايزلك الخير، وده حق الأصدقاء على بعض.

– ما قولنا شكرا يا عم عمر، تسمحولي أدخل أنام والا فيها غلط دي كمان؟!

افترق الأصدقاء؛ كل إلى حجرته والجميع في حالة عدم رضا.

ودخل أحمد غرفته، ووجد نفسه يريد أن يتصل بزوجته سما للاطمئنان عليها، ولكنها أحست من صوته أنه حزين فسألته.

– ما لك يا حبيبي؛ صوتك مش عاجبني في إيه؟

– مافيش حبيبتي، أنا بس كنت بتناقش أنا وآدم، والمناقشة حميت شوية وأنا شايف إني زودتها شويتين، وبتكلم في حاجات مش من حقي حتى أقول رأيي فيها.

– حبيبي لما بتحب حد بتبقى عايزه يشوف اللي إنت شايفه، لكن ده ماينفعش، وبالأخص لو واحد زي آدم؛ مختلف عنك خالص، فمتزعلش، إنتم في الآخر أصدقاء، روح طيب خاطره وصالحه، وماتتكلمش دلوقتي ف مواضيع.

– أمال أنا بحبك من شوية؟ ما هو علشان قلبك الجميل ده ودماغك الألماظ.

ضحكت سما وأكملت الحديث بأخبارها وأخبار الأولاد، ثم أنهت المكالمة بجملتها:

– حبيبي تسلملي وترجعلي بألف سلامة.

وأغلق أحمد التليفون، وقرر أن يذهب إلى آدم ليتحدث معه ويعتذر عن تجاوزه في الحديث، لكنه تراجع وأغلق الباب مرة أخرى، وقال في نفسه إن الصباح أفضل، ففيه يكون قد هدأ.

وعندما دخل آدم حجرته أخذ يتصفح الموبايل بسرعة، ولا يعلم سببا لذلك، ولكنه كان يبحث عن أي خبر أو بوست؛ يخرجه مما وصل إليه بعد كلامه مع أحمد، فما هذا الشعور الذي انتابه بعد أن واجهه أحمد بأنانيته وتقصيره في حق زوجته وأولاده، فكأنه وضعه أمام نفسه في مواجهة.

في هذه اللحظات تذكر ممدوح جاره وحبيبه، وكيف أنه في آخر مرة في فرحه كان يقول له حافظ على الهدية اللي ربنا أعطهالك، فأحمد في شخصيته المعتدلة فيه كثير من ممدوح، فدمعت عيناه، ولكنه في داخله شيء سيء يجعله يقاوم بكل الطرق أي أحد يوجه إليه النصيحة.

ما هذا الشيء؟ هل هو الشيطان؟ أم هي النفس التي تأمر بالسوء، وتتعالى على سماع أي أحد غيرها... لماذا أنا هكذا؟ لكنه أحب أن يفلت من الإجابة، فهو يعلم أنها نفسه وليس الشيطان، فالشيطان يأتي مرة، لكن النفس توسوس بتأكيد طلب الشيطان أكثر من مرة.

أثناء البحث في الموبايل وجد رسالة أمه التي بعثتها منذ فترة وهو أهملها لمعرفة القصائد التي ترسلها بما تحتويه من نصائح وإرشادات...

في الأخير فتحها وبدأ القراءة...

(ماتحولش)

ما تحاولش تغير حد
غير لو هو أخدها بجد
مهما تحاول تعطي نصايح
هو مارد جواه صايح
سامعك ومبرق عينيه
والكلام مادخلش عليه
ووعود كتير إنه هيتغير
وإنه خلاص ماعدش صغير
وأول وسواسه من إبليس
يقول لنفسه يا عم بيس
نصب شيطانه جوه سفير
وما حدش يقدر عليه كبير
يسمع صوت الفجر
لاح وما يحييش على الفلاح
ينفضوا حبايبو من حواليه
وبكدبه يكتف إيديه ورجليه
تعبت معه كتير كلام
ومحدش شافوا غير ولام
قلبي وجعني يا حته مني
خلاص كبرت وسبقني سني

خايفة النهاية تكون حزينه
فكر يابني ده العقل زينه
إشارات ربك تنبيه ليك
بيحبك هو وواثق فيك
بدعيلك تلحق تمسك في حبله
ويوم العرض تفوز وتقابله

***

انتهى آدم من القراءة، وتاه بعينيه في سقف الغرفة، فالقصيدة أكملت ما بدأه أحمد من محاضرة، وما هي النهاية الحزينة التي تتحدث عنها أمه، ولكنه أغمض عينه للهروب من الأفكار، فغلبه النوم.

وأتى النهار واليوم الموعود الذي سيتغير فيه مصير آدم كليا.

ذهب إلى العمل وتجنب الحديث مع عمر وأحمد، ولكن أحمد بحث عنه ليتكلم معه ولم يجده، فانتظر في موعد الغداء ليتحدثه، ووجده يتابع العمل من خارج المبنى، وحين خرج آدم من المبنى وجد السيدة الجميلة في انتظاره، وأعطته إشارة الأمان أن زوجها ليس بالداخل، وكان أحمد في الدور الثاني ينظر إلى آدم ويشاهد ما حدث من السيدة لجذب آدم إلى بيتها، وتابع آدم وهو يترك الموقع، فقام في

حركة سريعة لينزل ويمنع آدم من الذهاب إليها ولو بالقوة، فقابل عمر أثناء النزول، فطلب منه مرافقته، فنظر عمر إليه في حيرة، فهو لا يعلم ماذا يحدث، ولكنهما حين وصلا كان قد فات الأوان، فقد اختفى آدم، ولم يجداه، فآدم تردد لثوان في الذهاب، ولكنها لم تعطه الفرصة للتفكير ففتحت الباب وكانت بانتظاره.

غضب أحمد كونه لم يلحق بآدم، فسأله عمر عما يحدث، فأخبره بنيته منع آدم من الذهاب لهذه الأفعى، ولكنه لم يلحق به، فانفعل عمر وقال:

– خلاص يا أحمد، إحنا مش هانقدر نعمله حاجة، لو هو مش مقتنع إنه غلطان، إحنا علينا النصيحة وبس، ولما يرجع البيت نتكلم معه، أنا و إنت، والله المستعان.

وفجأة احمر وجه أحمد وعمر ونظرا لبعضهما في فزع، فلقد شاهدا زوج السيدة الحسناء عائدا في غير موعده إلى البيت، وآدم في الداخل، فماذا سيحدث؟ اتصل عمر في حركة سريعة بآدم على الموبايل ووجده مغلقا، ثم مرة ثانية... فصرخ عمر وقال:

– قافل تليفونه، أكيد هتحصل مصيبة جوه، هنعمل إيه؟

– مش في إيدنا حاجة يا عمر، أمر الله نفذ، وربنا يلطف! أنا كان قلبي حاسس، وعلشان كده كنت نازل جري علشان ألحقه، ربنا يلطف!

دخلت السيدة لتحضير مشروب القهوة التي يعشقها آدم، بينما هو جلس في حالة استرخاء، وفي هذه الأثناء وجد باب المنزل يفتح بالمفتاح، ويدخل زوج السيدة الحسناء، فقد عاد في غير موعده، وفي ثوان انتفض آدم بجسده من على الكرسي ونظر في اتجاه المطبخ فوجد السيدة خرجت تجري من المطبخ بعد أن لاحظت رجوع زوجها، وأخذت تصرخ في فزع:

– لص، لص، لص...

سحب الزوج المسدس من الدرج وحاول توجيهه إلى آدم، الذي قفز من النافذة المجاورة له، وأطلق الزوج الرصاصة، ولكنها لم تصب آدم، لكنها نبهت من في الشارع مع صراخ السيدة بوجود لص، فأمسكوا به لتسليمه للشرطة، وشاهد هذا المنظر أحمد وعمر من بعيد، ولم يقدرا على إنقاذ صديقهما، ولكنهما فكرا في إحضار محام ثم اللحاق به في قسم الشرطة...

– أنا مش حرامي! أنا مش لص!

– لا بد أن تعين محاميا ولا تتحدث حتى يأتي.

– حاضر، هتصل بأصدقائي، وهم سيحضرون المحامي... (واتصل بعمر) **ألو.. ألو.. أيوه يا عمر، هات محامي وتعالى فورا على قسم الشرطة.**

– أيوه يا آدم، إحنا عرفنا كل حاجة، والشارع هنا مقلوب والشركة عايزة ترحلك مصر، لكن القانون إنك لازم تتعاقب هنا، وإحنا في الطريق ومعانا المحامي وربنا معاك.

– متتأخروش يا عمر! بسرعة تعالوا!

بعد ساعة وصل المحامي مع عمر وأحمد، فطلب المحامي الجلوس بمفرده مع آدم...

– من فضلك، إحكيلي كل حاجة بأدق التفاصيل، ومتخبيش عليا حاجة علشان أقدر أساعدك.

أخذ آدم في سرد الأحداث بكل تفاصيلها، وختم بأنه ليس لصا.

– إنت عارف أن هذه البلد تطبق الشريعة الإسلامية على أهل البلد من المسلمين وحتى المقيمين بها؟

ففزع آدم واحمرت عيناه وجهته وقال:

– يعني إيه؟

– يعني قطع يد السارق وجلد الزاني مائة جلدة!

– أنا زاني، اجلدوني مائة جلدة، لكن مش سارق!

– هل أنت متزوج؟

صمت آدم لثوان، وكاد يجيب أنه متزوج، ثم خاف أن يكون الحكم الرجم.

– لا مش متزوج، وفي غربة، وحضرتك عارف الشيطان والوحدة، يعني لي أعذاري.

– ما فيش هنا لي أعذاري ياباشمهندس، القانون يطبق ع الكل.

– أنا معترف بالزنا، لكن مش حرامي.

– حتى دي ليها شروط، لازم هي كمان تعترف بجريمة الزنا، أو تجيب أربع شهود على الو اقعة.

– أربع إيه؟ إنت بتقول إيه؟ يا فندم أجيب شهود منين؟ وهي كمان مش هتعترف يبقى إيه الحل؟

– بص، إنت مش معاك مسروقات يعني مش متلبس، وده كويس إلى حد كبير، استمر في إنكار السرقة، و أنا هحاول ألاقي مخرج.

خرج المحامي من عنده، ودخل صديقاه أحمد وعمر، فحضنه عمر في لهفة، وقال له اطمن حور مش هتعرف، واحنا مش هنقول لجهان وسما علشان الخبر ما يتسربش.

وفي هذه اللحظة انتبه آدم ودار داخله حوار لا يسمعه غيره: «**ياااه حور و(المائة جلدة)**»، وتذكر ما دار بينهما من حديث حول إثبات الخيانة والآن هو من سيعترف، ويصر أنه زان، ويستحق مائة جلدة، «**هذا حق حوروظلمي لها**»، ثم التفت إلى أحمد وقال له في انكسار:

– هو ده انتقام من ربنا وغضبه علي يا أحمد؟

– لا طبعا، ده حب من ربنا.

– حب؟! إنت بتقول إيه؟

– أيوه طبعا، لو كان مش بيحبك يا آدم كانت الرصاصة جت فيك ومت على معصية، وده الانتقام، لكن هو بيأدبك ولازم تتعاقب، يعني عارف إن جواك خير، وبيعطيك فرصة تانية ترجع، وتمسك في الحبل اللي بعتهولك، المهم تشوف المعنى اللي وراء التجربة.

– كلامك ريحني يا أحمد بعد كلمة بيحبني دي، أي حاجة هتحصل أنا راضي بيها، وهيكون عندي يقين بالفرج.

– اطمن يا آدم، واحنا هنتصرف مع حورلو اتصلت، هنقول إنك اتسرق من عهدتك جهازوجاري التحقيق معاك، ولحين انتهاء التحقيق إحنا هنتواصل معاها.

– أنا قولت للمحامي إني مش متزوج، وهقول كده في التحقيق لأني خايف يكون في رجم في القانون، فشوفوا ممكن تساعدوني ازاي لو حصل واستفسروا في الشركة.

– مافيش فايدة فيك! بتكذب برضو!

– أعمل إيه يا أحمد، يا روح ما بعدك روح!

– خلاص، سيب عليا الموضوع هخلصه.

– مش القرآن بيقول مية جلدة يا أحمد؟ والقرآن أقوى من السنة والسند والحديث والإجماع، يبقى ليه بقى الرجم، ما يبسطوها، ده ربنا الرؤوف الرحيم بيقول جلد.

– هو إنت هتفتي في اللي إنت ما تعرفوش دلوقتي؟ وبقيت تدور في الدين كمان؟ سيب الدين لأهله، وهنشوف إيه اللي هيحكم بالشرع على حالتك.

– شكرا يا أحمد، وسامحني، أنا مكنتش شايف اللي إنت شايفه، بس بدأت تتضح الرؤيا.

– الله المستعان، كله خير، المهم إدعي ربنا كتير يا آدم، ربنا غفوررحيم.

وعاد عمر وأحمد إلى المسكن، فدخل أحمد إلى حجرته، وبعد قليل ذهب عمر إليه وجلس معه، فنظر أحمد إلى عمر في استغراب وقال:

– على لسانك كلام يا عمر! خير؟

– إنت عارف إن الست اللي كان عندها آدم كانت بتحاول معايه قبل آدم، وبعد الأحداث اللي حصلت تخيلت لو أنا ماقعدتش معاك قبليها بيوم واحد، وربنا كرمني بالرجوع عن الطريق العوج ده كنت هاكون مكان آدم، و افتكرت كلمتك إنه في ناس ربنا بيردهم ليه من قريب لأنه شايف قدرتهم على الرجوع لنفسهم أكترمن ناس بعيد، وعلشان يرجعوا بيضعهم في تجربة صعبة، وده اللي شاغل دماغي من ساعة الموضوع ما حصل؛ حسيت إن ربنا بعتلي رسالة، وبيقولي شوفت؛ كان بينك وبين الغلط خطوة، ولما مسكت في الحبل بعدتك عن الحفرة و اتوازنت.

– إيه التحليل العميق اللي بتقوله ده؟ أنا خلاص كده اطمنت عليك إنك عرفت مكان التوكيل، حمد الله على السلامة.

ابتسم عمر في نظرة رضا، وقام من مكانه وأخذ أحمد في حضنه بقوة وتعانق الصديقان، فقال عمر في حزن:

– بس صعبان علي آدم جدا يا أحمد!

– إنت عارف إني أنا كنت حاسس إن مصيبة هتحصل مش عارف ليه جالي الإحساس ده في الوقت ده، وعلشان كده نزلت أجري بسرعة، بس أمر الله نفذ، وربنا ليه أكيد حكمة ف كل حاجة بتحصل، واحنا دلوقتي مش في إيدنا غير الدعاء.

ومرت الأيام، وآدم في السجن لحين التحقيق مع السيدة وزوجها، وكان هذا الرجل ذا نفوذ كبير جدا في البلد، فصمم على الانتقام من آدم لتشويه سمعة زوجته واهتزاز مركزه في المجتمع وأصر على براءة زوجته.

وفي هذه الأثناء كانت حور تتواصل مع أحمد وعمر، ويرسلان لها مبلغا كل شهر دون أن تعلم أنه منهما؛ معتقدة أن مرتب آدم مستمر، ولكن قل لأسباب التحقيق معه، ولكن الشهور مرت وراء بعضها وآدم لا يفهم لماذا لم تتم محاكمته، ولا يعلم أنه بسبب نفوذ زوج السيدة الحسناء.

في السجن كان يمر أمامه شريط حياته، وكل يوم يمر يتقدم في معرفته نفسه ويرى ما هو الخطأ الذي وقع فيه كي يصل إلى هذه النهاية الحزينة، وقبل كل ليل ينقضي يغمض عينيه ويتذكر موقفا؛ وكيف خرج منه وستره الله فيه، وتعددت المواقف وتعدد الستر من الله، فاعتقد أن الله

يستره كل مرة، فطمع فتمادى في الغلط، وكيف كان لا يرى حور بجمالها وحبها له وحفظها لنفسها.

وفي يوم كانت خطبة الجمعة في السجن عنوانها (حلِّ حلالك) وكان آدم يسمع الخطبة باهتمام ولأول مرة، فدائما كان يحضر الخطبة ولا يسمع منها ولا كلمة غير النهاية وكلمة أقم الصلاة، لكن هذه المرة كان الخطيب كأنه يتكلم عن آدم، وكيف أن الشباب بعد الزواج يملون الحياة الروتينية، ويرفضون الالتزام، ويميلون إلى حياة العزوبية والانطلاق، ولا يريدون التقيد بالواجبات ويهربون من المسؤولية، ويهجرون البيت، ويحملون الزوجة فوق طاقتها ويرفضون التعاون، ثم يتهمونها بالإهمال والتقصير، ويعطي نفسه الحق في أي تصرف خطأ حتى لو الخيانة.

سأل الشيخ سؤالا قال فيه (من خُلِق لمن؟): هل آدم خلق لحواء أم حواء خلقت لآدم، فأجاب الجميع بأن (حواء خلقت لآدم)، فقال الخطيب تعقيبا إن آدم خلق لتعمير الأرض، فإذًا؛ لو اهتم آدم بالأرض وزرعها وواظب على الاعتناء بها وأزال الحشائش الضارة من حول الزروع وسقى الأرض بانتظام فسوف يحصد كل الثمار التي يشتهيها، وينطبق هذا على حواء أيضا، فدائما حواء رد فعل لتصرفات آدم مثل الأرض، فقول الله عز وجل: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ**

لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١). فإذا كانت حواء هي من نفس آدم كان عليه أن يعتني بها؛ فهو يعتني بنفسه ولنفسه، وبذلك سيجني ثمار هذا الاعتناء، ولذلك كلمة (حلِّ حلالك) تعني أنك المسؤول عن أن تحلي حياتك، وأن في يدك سعادتك، وأن حواء بالاعتناء بها نفسيا تجد فيها كل نساء الكون. ومثلما توجد أرض بور توجد أيضا نساء بور؛ لا يمكن معاشرتها مهما اهتممت بها، لذلك حلل الله الطلاق لاستحالة العشرة بينهما.

قاطع الخطيب أحد الحضور وقال: «**لكن يا شيخنا دي حواء هي اللي أخرجت آدم من الجنة**».

فأجاب عليه الشيخ وقال: «**من أين أتيت بهذا القول، هل هو من القرآن؟**»

فأجابه أنه سمع ذلك، فقال له الشيخ: إذا؛ اسمع ربنا ماذا قال في كتابه العزيز: ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى**﴾ (طه: ١٢٠-١٢٢)... لم يقل الله في الآية عصى آدم وحواء ربهما! لا، ولكن ذكر آدم فقط في الآية،

وتحمل المسؤولية عن ذنب فعلته حواء معه، فهو مسؤول عنها، فهل فهمت لماذا هو القيم في كلمة الرجال قوامون على النساء، فالأمر ليس تفضيلا للرجل على المرأة، ولكنه تكليف من الله لآدم بالمسؤولية.

وقوله عز وجل: ﴿**وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ **(البقرة:٣٥-٣٧)**. ومع أنه أشرك حواء في المعصية إلا أنه عز وجل عاتب آدم فقط فهو يعتبرهما الاثنين نفسا واحدة، وآدم مسؤول عن نفسه وهي حواء: هل فهمت؟

فرد على الشيخ في ضيق وقال إن الله قال في كتابه العزيز: ﴿**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى**﴾ **(مريم:٣٦)**، فأجابه الشيخ في ابتسامة رضا وصبر:

– ليس الله من قالها يا بني، بل قالتها أم مريم عندما وهبت ما في بطنها لخدمة ربنا، أي خدمة الهيكل اليهودي حين ذاك، وهم جميعهم رجال، ولا توجد نساء تخدم في الهيكل، لذلك قالت أم مريم

هذه الجملة ليس تقليلا من الأنثى، ومع ذلك فإن السيدة مريم أصبحت خير نساء العالمين بشهادة رب العالمين. فهل فهمت المعنى المقصود؟

فرد سائلا مستفهما عن كيد النساء وأن كيدهن عظيم، فأجاب الشيخ:

– أنت مصمم على تشويه صورهن وفقط.

ضحك آدم والحاضرون وتعجب من دفاع الشيخ القوي عن النساء، فقليل من الرجال من يتبنى إثبات حقوق المرأة والدفاع عن تشويه صورتها على مر العصور على هوى نفس المفسرين الرجال، وأكمل الشيخ الحديث قائلا:

– ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (يوسف:٢٨)، فالكيد ذكر في سورة يوسف، ولكن من قالها لم يكن الله سبحانه أيضا، بل قالها شاهد من أهل امرأة العزيز، بعد أن أثبت أنها تكيد ليوسف مؤامرة لتنجي نفسها أمام أهلها...

فهل تعلم أن إخوة يوسف كانوا يكيدون له ليقتلوه، فهل يجوز أن نقول إخوة يوسف كيدهم عظيم؟ فمن كيده أعظم؟ أإخوة يوسف (لقتل يوسف) أم امرأة العزيز و(سجن يوسف).

حين حكى سيدنا يوسف لأبيه رؤياه عن الكواكب رد والده النبي يعقوب عليهما السلام بقوله: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (يوسف:٥). وها أنا أوضحت لك الآيات، وأدعك تفكر وتتدبر.

فقاطع أحد الحاضرين الشيخ مستندا إلى آية الضرب في القرآن بشأن النساء، فقال له الشيخ:

– كلمة الضرب في القرآن ذكرت سبع عشرة مرة في مواضع مختلفة، وكلها لا تعني الأذى البدني، ولكن تعني المباعدة بين شيئين أو شخصين أو أمرين، أو يعني الفصل...

ولكن الأذى البدني ذكر بكلمات مختلفة مثل قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور:٢).

فلماذا لم يقل فاضربوا كل واحد... وأضف أيضا أن رب العزة عليم بخلقه، لذلك حدد مائة جلدة حتى لا ينتقم البشر من بعض في الجلد والأذى في حالات الفحشاء والزنا، فهل يترك كلمة (اضربوهن) مطلقة

دون تحديد، ويترك الرجال يفترسون زوجاتهم تحت مسمى (اضربوهن) دون تحديد في حالات الخلاف الزوجي..

وقد سأل صاحبك عن أن حواء أخرجت آدم من الجنة وأوضحنا أن الله لم يخاطب حواء في أنها (عصت كلام الله) ولكنه تحدث عن آدم أنه عصى، فهل يعطي الحق لآدم في ضربها إذا (عصت آدم)، ولكن تعني اضربوهن أي ابعدوا عنهن و اتركوا لهن الحجرة أو المنزل، فهو يعلم أن ذلك أقصى عقوبة نفسية لحواء بعد الوعظ والهجر في المضاجع...

ولكن إذا حدث من الرجل نشوز فهي لا تترك البيت حفاظا عليها، وتأمل في الآية؛ يقول عز وجل: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء:١٢٨)

وسأدعك تفكر فيها وتتدبر لأن ربنا أمرنا جميعا بالتفكر والتدبر وبعض الكلمات أيضا (تعني الأذى البدني) في القرآن مثل – فوكزه موسى– يبطش– لطمه– قتله– ركله– عذبه– اعتدى) وليس بينهم (اضربه)... حتى حين أشار سبحانه وتعالى أن في الحرب بقوله:

﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ...﴾ (محمد:٤)، فالمعنى هو فصل الرأس عن الجسد.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور:٣١) فالمعنى هو فصل الجسم بالخمار عن عيون الرجال...

وأكثر من مرة تعني كلمة الضرب المباعدة أو الفصل. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾ (الحديد:١٣) تعني الفصل بين أهل الجنة والنار. وقوله تعالى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشعراء:٦٣) أي ففصله شقين.

حتى كلمة ضرب الله مثلا فهو يقارن بين شيئين بعيدين عن بعض لتقريب فكرة مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦).

فرب العزة بضربه المثل (فصل) بين الضالين والمهتدين في كلمة (يضل) به كثيرا و(يهدي) به كثيرا،

ولذلك اختلف المفسرون كثيرا في معنى كلمة الضرب في القرآن، وصار جدال في ذلك.

وإني أميل مع تفسير المباعدة أو الفصل، لأنه يتفق مع كلام الله في الإمساك بمعروف أو التسريح بإحسان، فيقول عز وجل في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (البقرة:٢٣١).

فكلمة الاعتداء هنا تعني الأذى النفسي، ومع ذلك ينهى الله عنها، وأيضا قدوة عن الرسول الكريم الذي لم يضرب حتى خادمة فما بالك زوجاته، وفي خطبة الوداع أوصى بالنساء خيرا وحث على الرفق بالقوارير...

و أيضا كلمة الضرب في الحديث الشريف عن (علموا أولادكم الصلاة لسبع واضربوهم لعشر) فهي تعني المباعدة في سن عشر سنوات، فنفصل الولد عن أخته في النوم، وليس الضرب بمعنى الأذى البدني، لأنه ليس من المنطق أن يقول الله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وهو يخاطب الراشدين، ويقول اضربوا الصغار، فهل الطفل يحب الله

بالضرب والأذى؟ أم بالحب والتعود؟ وإذا رفض يبعد عنه الأب ويخاصمه؛ فهو يهمه إرضاء أبيه لأنه يعرفه ولا يعرف الله بعد، فيصلي تعودا في الصغر، ثم يصبح بعد ذلك احتياجا إلى الصلاة وحبا لله في الكبر.

وفي الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه:١٣٢)، وليس اصبر، فكلمة اصطبر تعني المبالغة في الصبر وهو يخاطب (الراشدين) فما بال الأطفال؟!

ولأن من يشرع هم الرجال، فبدل أن يبحثوا في التأكيد على ضرب النساء والأطفال، ويجادلون بكل قوة لديهم... كان الأحق أن يطبقوا الشريعة في جلد الرجل والمرأة في و اقعة الزنا...

وكثير من الدول الإسلامية لا تطبق الشريعة لأنها تأذي كثيرا من الرجال أكثر من النساء، لأنه في الأغلب يكون للرجال مراكز مهمة وعالية، وحرصون على مكانتهم، أما النساء فأغلبهن ساقطات؛ لا تهمهن الفضيحة والجلد، فتلغي الدول الشريعة، ولا يبحث وراءها أحد من الرجال ولا يجادل،.

فهل هذا ليس بقرآن وأوامر من رب العالمين؟ فتنتشر الفحشاء بدون قيود...

ففي رأيك: أترك حد الزنا هو من يفسد المجتمع؟ أم ترك ضرب المرأة والطفل هو من يفسد المجتمع؟ أدعك تفكروتتدبر.

فقال أحد الحاضرين:

– هل صوت المرأة عورة؟

فأجاب الخطيب:

– في سورة المجادلة قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة:١)... فهذه امرأة تحاور الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، فصوتها ليس بعورة، وثانيا جميع الأحاديث المنسوبة للسيدة عائشة زوجة الحبيب هي من روتها بصوتها، ولم تكتبها، وأخذها عنها الصحابة.

فقال أحد الحاضرين:

– دون الضرب أو الأذى، لماذا حواء لا تهتم بآدم كما ينبغي كي لا ينظر إلى غيرها، ولا يتزوج عليها؟

نظر الخطيب إليه في ابتسامة وقال: «**لا، هكذا سنعيد الخطبة مجددا: (من خلق لمن؟)**»، فابتسم جميع الحاضرين فقال الخطيب: «**أقم الصلاة**».

وأنهى الخطيب الخطبة فكان آدم يتمنى ولأول مرة ألا تنتهي الخطبة.

***

مرت الشهور وأصبح آدم لا يشعر بعدد الأيام، ويعتبر نفسه في إجازة من كل شيء وكأنها فترة إعادة تأهيل للنفس ورفع مستوى كفاءتها لتتناسب مع الروح، فهو كان مدمنا على الكذب والأنانية، ويريد أن تنسحب من جسمه هذه العادات السيئة.

كان عمر وأحمد على اتصال دائم بحور لطمأنتها على آدم، ولكن حور تسرب القلق إلى نفسها لطول غيابه، وأخذت تبحث عن إجابة مقنعة عند جيهان وسما، ولكن الصديقين لم يحكيا للزوجتين شيئا كما وفقا لما وعدا آدم به؛ حتى لا يتسرب الخبر إلى حور.

وكانت أم آدم على اتصال دائم بحور لمعرفة الأخبار، وما تم بخصوص العهدة المسروقة من آدم، ولكنها لا تملك تفسيرا من طول مدة التحقيق معه وحبسه، والكل كان في انتظار الفرج.

بعد مرور أحد عشر شهرا على آدم في السجن جاء استدعاء له على وجه السرعة لفتح التحقيق مرة أخرى في قضيته.

المأمور– آدم، مطلوب منك تحليل DNA (إثبات النسب).

آدم– ليه يا فندم؟ في إيه؟ نسب لمين؟

المأمور– السيدة التي اتهمتك بالسرقة عملت حادثة كبيرة هي وزوجها وأولادها الثلاثة والطفل الرضيع كان في حالة خطرة وأراد الأب إنقاذ طفله، لكن بعد التحاليل والفحوصات ثبت أن الطفل ليس ابنه، فطلب فتح التحقيق من جديد في القضية، وعمل تحليل إثبات النسب لك وللطفل لإثبات و اقعة الزنا على زوجته، فهو في حالة ذهول مما حدث.

تهلل وجه آدم وقال بصوت عال:

– يا فرج الله! أحمدك يا رب، وأشكر فضلك.

فتعجب المأمور وقال:

– إنت فرحان كده ليه؟ ده إنت هتتجلد مية جلدة!

– أيوه وأستاهل، ولازم آخد عقابي وأخلص ديوني، بس ليا سؤال من فضلك؛ أخبار الطفل الرضيع إيه؟

– للأسف مقدروش ينقذوه، البقاء لله!

– ونعم بالله، ربنا ليه حكمة في كل شيء الحمد لله.

بعد أن ثبت النسب جاء ميعاد تنفيذ حكم الجلد، وكان آدم مع كل جلدة يشعر بألمها يقول بصوت عال وبكاء: **«سامحتني يا رب؟ لسه بتحبني يا رب؟ وعزتك وجلالك فهمت وتبت، ولن أعود يا كريم، يا رحيم، يا غفور، يا حنان... اجعلها تسديدا لديوني الكتير، يا رب اللي سترتني فيها وما يعرفهاش غيرك، أحمدك وأشكر فضلك»**. وكان يسبح مائة مرة مع (المائة جلدة).

وبعد الانتهاء من العقوبة خرج آدم من السجن وهو ينظر حوله في حالة ذهول، فهو حر مرة أخرى، وكان أحمد وعمر يعلمان بما حدث حول فتح التحقيق وتنفيذ حكم الجلد على آدم، فذهبا ليكونا في استقباله بعد خروجه.

وحين شاهدا آدم لم يتعرفا عليه، وكأنه شخص آخر وكأن الأحداث رسمت على وجهه خريطة جديدة؛ غيرت معالم وتفاصيل وخطوط ملامحه، وعرف آدم ما فعله أحمد وعمر مع حور طول فترة غيابه، فقال لهما أنه مدين لهما بهذا الدين، وسيقوم بسداده، وأنه كان متأكدا من أنهما لن يتخليا عنه في محنته، وأن وجود أصدقاء مثلهما هو ما كان يحتاجه منذ زمن طويل حتى يعرف ما معنى الصداقة الحقيقية.

***

تم ترحيل آدم إلى مصر ومنعه من السفر مرة أخرى إلى ماليزيا، ولكنه لم يفصل من الشركة لسجله النظيف وتفوقه في عمله.

في طريق العودة إلى وطنه تملكه شعور غريب وهو الاشتياق إلى حضن أمه، فهي وطنه الذي حين بعد عنه حلت به المصائب، وتذكر القصائد التي كانت ترسلها كي تكون متصلة معه حتى وهو بعيد عنها، ثم تذكر أنه أب لتوأم، وكيف يكون قدوة حسنة له، فالطريق طويل ولا بد من تصحيح المسار، وحور كيف سيواجهها وأنه لا بد أن يقول لها الحقيقة كاملة، ولها الحق فيما سوف تتخذ من قرارات، فهي عانت معه كثيرا.

وصل آدم إلى مصر، وتوجه إلى البيت، وهو في الطريق قرر إحضار هدايا لابنيه لزين وزينة، وإحضار باقة ورد لحور، فهي تحب الأزهار والشوكولاتة، وقال في نفسه: «**كم كنت غبيا وأنانيا وأبخل حتى بالوردة لأرضي زوجتي، ولكني فهمت وتعلمت**».

حين وصل عند باب شقته وقف أمام الباب وأخذ يحدثه ويقول له: «**سامحني كنت بهبدك بكل عنف وأنا خارج من البيت، مكنتش عارف إنك من النعم الكتير اللي ربنا كان مغرقني بيها وأنا مش حاسس بيها، وأن وجودك**

وانت قافل عليا وأنا جوا بيتي مع مراتي اللي بتحبني وحفظاني في غيابي وحافظة بيتي وأولادي ستر وفضل؛ ناس كتير بتتمناهم».

وفجأة انتبه آدم أنه يحدث الباب، فقال في نفسه: «**ياااااااه، يا رب، أنا واقف أعتذر للباب، إنت أدبتني لدرجة إني بعتذر لكل اللي أذيتهم في حياتي حتى الجماد، أحمدك وأشكر فضلك**». وأنهى آدم الحديث الشيق مع باب شقته، ووضع الهدايا على الأرض ووضع عليهما باقة الورد لتكون يداه خاليتين ليستعد لعناق زوجته، ثم رن جرس الباب.

فتحت حور الباب ووقفت للحظات في ذهول، ثم قفزت على رقبة آدم، وتعلقت بها، وقالت بصوت مشتاق: «**حبيبي، حبيبي، حبيبي..**»، فأخذها في حضنه بكل اشتياق، ونظر في عينيها ليجد صورته فيها مع دموع تلمع كاللؤلؤ، فقال لها في صوت خافت: «**وحشتيني يا عمري اللي كنت هضيعه مني**».

نظرت في عينيه فوجدت كل ما تتمنى رؤيته أي امرأة في العالم، وهي نظرة الرضا والاكتفاء بها عن كل نساء الكون، فزاد هذا من تألق عينيها وجمالها، ثم نظر خلفها فوجد التوأم زين وزينة، وكان لأول مرة يشاهدهما وهما يتحركان في

خطوات بطيئة، فركع على ركبتيه، وفتح يديه لهما وأخذهما في حضنه بكل قوة وهو يبكي ويقول: «**الحمد لله، الحمد لله**».

بعد ذلك جلس مع حور يحكي لها ما حدث بالتفصيل، وأنه أخطأ وأخذ جزاءه، وندم وطلب منها العفو والسماح، وأنه عرف قيمة النعم، وسوف ترى شخصا آخر؛ فهو يعرف أنه سبب لها ألما صعب نسيانه، ولكن يطمع في سماحتها وقلبها الكبير.

وبعد انتهاء آدم من الحديث وجد حور تبكي بحرقة من صعوبة الأحداث، ولكنها تعشقه، وكانت تتمنى رجوعه. ترددت لثوان؛ هل تهاجم وتثأر لكرامتها بعد أن حكى لها واعترف لأول مرة بخيانته بنفسه، أو تخفف عنه وتنسى ما حدث، وتكتفي بما فعل الله به من تجربة؛ ردت إليه صوابه وعرفته الطريق، فقد رجع وهو شخص آخر غير من سافر... حكمت عقلها وقررت أن تسامح، فتماسكت وقالت في صوت خافت:

– يااااه يا آدم، كل ده حصل؟ دي حكاية ولا في الأفلام، بس أكيد إنك اتعلمت منها الكتير، وأهمها إنك عرفت طريقك و إنك كنت في الاتجاه الخطأ في الحياة، وده كفايه يخليني أسامحك، ونبدأ صفحة جديدة وكفاية

اللي حصلك، و إنك سددت كل ديونك... إنت جوزي وحبيبي و أبو أولادي... سامحتك.

ضحك آدم وقال لها في تهليل: «**جواب نهائي؟**»

فضحكت حور ضحكة مليئة بالدموع وقالت: «**جواب نهائي!**»

فقام آدم من مكانه وحمل حور، وأخذ يلف بها في البيت والطفلان يضحكان من منظر أمهما وهي تضحك بصوت عال.

– حبيبتي؛ يسلملي قلبك اللي على طول يسامح، والله ما هتندمي المره دي، و أنا و إنتي هنشيل مع بعض ومش هتشتكي تاني لماما.

... آه، صحيح! ماما! عايز أكلم ماما؛ أطمنها يا حور، بس مش عايزها تعرف حاجة من فضلك، ولا حد خالص، إنتي بس اللي قولتلها علشان ده حقك تعرفيه، وتسامحيني، بس والله ماما وحشاني جدا، ووحشتني قصايد التوبيخ بتاعتها اللي معرفتش قيمتها غير في الغربة والشدة، بس خلاص، اتعلمت والله...

... ألو، ألو، أنا جيت يا ست الحبايب، وحشتيني يا غالية هطير وأجيلك.

– آدم؟ بجد رجعت يا حبيبي؟ رجعت امتى يا روح قلبي؟ حمد الله على سلامتك، إيه اللي حصل؟ والله كنت على طول بدعيلك.

– وصلي يا أمي دعاكي، وربنا نجاني، هجيلك يا أمي، وهنقعد مع بعض كتير، بس أريح شوية، وأجيلك، اطمني إنتي بس، وحضريلي قصيدة تليق بالموقف.

وضحكت أمه بصوت عال وقالت:

– لا، اتغيرت يا آدم، من امتى و انت بتحب قصايدي؟

– بقيت أحب كل حاجة من ريحتك يا ست الكل يا أحلى شاعرة!

– حبيبي تسلملي، ويسلملي عمرك، أنا في انتظارك ومش هنام لحد ما أشوفك.

– حاضر يا حبيبتي، مش هتأخر عليكي.

وأغلق آدم الخط ونظر إلى حور وعيناه تلمع وكأنه يراها بشكل جديد، ونظرت إليه حور في دلال وقالت:

– يعني هتنيم (زين) و أنا أنيم (زينه) ونقعد مع بعض شوية.

بنظرات الشوق والحب والرضا قال:

– ده أنا أنيم زين و أبوه كمان!

نظرت إليه حور مع ابتسامة خجل وقالت:

– لا، لا، بلاش أبوه.

وضحك الزوجان من القلب، وكأنهما عرفا طريق السعادة وأنها في الرضا بالنعم الممنوحة من الله، وأن لا تنظر إلى ما ليس لك، فالأرزاق موزعة بين خلق الله بتوازن، وأن السعادة طرفان وليست لواحد، وتذكر آدم كلمة الخطيب في يوم الجمعة (حلِّ حلالك)، وعرف أن سعادة (المتعة) تزول وسعادة (الرضا) تدوم.

***

(تمت بحمد الله)

مسك الختام

أهدي كلماتي لكل من يرى أن الحياة رحلة وسوف تنتهي ويعمل لأخذ ما يفيده منها عند العودة إلى دار الخلد، فكثيرا ما نسمع عن تجارب من سبقونا وقليلا ما نفعل لتجنب هذه الأخطاء إلا من رحم ربي.

وأهدي كلماتي أيضا إلى زوجي؛ هذا النموذج النادر من الأزواج، فهو رغم اختلاف شخصيتنا كليا إلا أنه مع مرور الزمن اكتشفت أنه هدية ربنا إلي وتاج على رأسي يزينه ما حييت.

وأيضا أهدي هذه الكلمات إلى بناتي وأزواجهن، وأحفادي نور العين وحب القلب؛ عسى أن يستفيد أحد منهم ولو بكلمة، ويذكرني بالدعاء بعد رحيلي؛ فيكون لي صدقة جارية.

(نوال غريب)